قصة مدينة

رام الله والبيرة

سلسلة المدن الفلسطينية (٥)

تصدر عن : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
دائرة الاعلام والثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية



رام الله والبيرة

سكرتير التحرير ومنسق المشروع
حسين العودات

المحتوى

تصدير

اهتمت المؤتمرات الثقافية والندوات على مستوى الوزراء والمسؤولين والخبراء العرب ، بالحفاظ على الثقافة العربية الفلسطينية والتراث الفلسطيني ، وتجديدهما وتعريف الأجيال الناشئة بها ، وبمواجهة الغزو الثقافي الصهيوني ، واعتمد المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومجلسها التنفيذي ، مخططاً متعدد الجوانب ، متنوع الأساليب ، للوصول إلى هذا الهدف . وقد تمت تهيئة الشروط المناسبة ، لتنفيذ هذا المخطط ، الذي يشمل فيما يشمل إصدار دراسات علمية في إطار مشروع (سلسلة المدن الفلسطينية) ، بالتعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ودائرة الإعلام والثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية ، بهدف إعطاء فكرة جامعة عن هذه المدن ، تتضمن واقعها الجغرافي ، وتطورها العمراني عبر العصور ، وتاريخها ، وأنشطتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ورصد التاريخ النضالي لسكانها ، ليستفيد منها الطالب والعامل ، والمثقف والمختص على حد سواء ، ولتبقى وثيقة حية في ذاكرة الأمة العربية .

وإن هذا المشروع ، الذي يعتبر عملاً قومياً وثقافياً ، يمثل جانباً من نشاط المنظمة في المجال الفلسطيني ، ومساهمة في بناء الثقافة الفلسطينية ، وتقوية عرى العلاقة بين الفلسطينيين ووطنهم . وإني أشيد هنا بالجهود الطيبة التي تبذلها دائرة الإعلام والثقافة بمنظمة التحرير ، وبالعمل العلمي المسؤول الذي تقوم عليه هيئة التحرير لإصدار كتب هذه السلسلة القومية .

ومن الله التوفيق

الدكتور محيي الدين صابر

المدير العام

للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

كلمة

أبعد الشعب العربي الفلسطيني عن أرضه ووطنه كلياً أو جزئياً منذ عشرات السنين ، ولدت خلالها أجيال جديدة ، عاشت وترعرعت خارج فلسطين ، فلم تر مدنها ولا قراها ، ولم تتشرب ثقافتها وقيمها وتقاليدها في أجواء صحية . ورغم أن صلة هذه الأجيال ، الوطنية والروحية ببلادها متينة وعميقة الجذور ، ومستمرة لاتنقطع ، فإن محاولات الاحتلال الصهيوني تشويه تراث الشعب الفلسطيني ، وتزوير تاريخه ، واختراق ثقافته ، وتغيير معالم المدن والعمران والحضارة ، إضافة إلى بعد الشعب الفلسطيني المادي عن أرضه وبلاده ، أدت إلى نشوء بداية فجوة في مجال معرفة البلاد وتاريخها وحضارتها وتراثها الثقافي ، وغدت الأجيال الفلسطينية الجديدة ، بحاجة لمعرفة منهجية ومستمرة ومتجددة ، لواقع مدن فلسطين ونشوئها وتطورها عبر العصور ، ونشاطاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ونضال سكانها في مراحل التاريخ المتتابعة ، وخاصة في النصف الأول من هذا القرن ، ضد الاحتلال البريطاني والغزو الاستيطاني الصهيوني ، فضلاً عن دور كل من هذه المدن في حياة البلاد . والحاجة نفسها تلاقيها الأجيال العربية الجديدة ، خاصة وأن القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للشعب العربي . ولعل كتب هذه السلسلة التي تتناول مدن فلسطين ، والتي تشكل ثمرة تعاون راسخ بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ودائرة الإعلام والثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية ، تسد جزءاً من الحاجة ، وتساهم مساهمة فعالة في هذا المجال .

ويسعدني باسم دائرة الإعلام والثقافة بمنظمة التحرير ، أن أقدم الشكر للسيد الدكتور محي الدين صابر ، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وللمؤتمر العام والمجلس التنفيذي للمنظمة ، للدعم الكبير الذي قدموه ويقدمونه لمواجهة الغزو الثقافي الصهيوني . كما أشكر جهود من ساهموا في إخراج هذا العمل لحيز الوجود .

عبد الله الحوراني

رئيس دائرة الإعلام والثقافة بالنيابة



خارطة فلسطين

الفصل الأول

البيئة الجغرافية والتاريخية

مقدمة

رام الله والبيرة مثال واقعي لظاهرة المدن التوأم ، فهما مدينتان توأمان بحق ، تقعان ضمن مجموعة مدن الخط الجبلي في فلسطين ، حيث هناك مجموعة مدن خط الساحل ، ومجموعة مدن خط الغور . ورغم وجود أماكن جميلة مرتفعة في منطقة الخط الجبلي في فلسطين ، فإن رام الله والبيرة هما المكان الوحيد المستغل على نطاق واسع كمصيف ، حيث يقصدهما الناس من مختلف المناطق من داخل البلاد ومن خارجها ، للتمتع بجمال طبيعتهما في فصل الصيف .

ورام الله والبيرة (التوأمان) ، كانتا في الأصل قريتين متجاورتين كبرتا واتصلتا وتداخلتا ، واشتركتا في الشارع وفي الميدان الواحد .... فهذا الشارع نصفه للبيرة ، وذاك الميدان نصفه لرام الله ... وأصبح من العسير جداً على الغريب أن يعرف الحدود الحقيقية بين المدينتين .

الموقع الجغرافي والتضاريس والمناخ :

تقع مدينة رام الله والبيرة في منطقة متوسطة من خط مدن القطاع الجبلي في فلسطين الذي يمتد من الشمال إلى الجنوب ، والتضاريس في هذه المنطقة معتدلة ، فالارتفاع يقل كثيراً عن المنطقة الشمالية ، وتتسع السلسلة وتتفلطح إلى هضبة عريضة يكثر تقطعها بأودية وممرات الحركة التاريخية . كذلك فإن المطر يكاد يكون معتدلاً . وأهم حقيقة في مواقع هذه المدن أنها تحددت بطريق مواصلات رئيسي

تاريخي يعتلي ظهر الهضبة من الشمال إلى الجنوب ، وتنتظم المدن على طوله كالعقد النظيم في تباعد متساو بدرجة كافية .

ويتركز موقع رام الله والبيرة في قلب فلسطين ووسط سلسلة الجبال الممتدة من الشمال إلى الجنوب والتي تشكل العمود الفقري لفلسطين . كما أنها تتوسط منطقة الغور في شرقي فلسطين والسهل الساحلي في الغرب . ويؤكد حقيقة تركز رام الله والبيرة وسط فلسطين المسافات التي تبين بعد رام الله والبيرة عن المناطق الأخرى في فلسطين : فهي تقع على بعد ٣٣٠ كيلو متراً عن أقصى نقطة في شمالي البلاد (المطلّة) ، ونحو ٣٦٠ كيلو متراً عن آخر موقع في جنوبي البلاد (أم الرشرش) على خليج العقبة . كما أنها تبعد عن مدينة يافا على شواطئ البحر المتوسط بنحو ٦٧ كيلومتراً ، وعن شواطئ البحر الميت ومدينة أريحا بنحو ٥٦ كيلو متراً والخارطة توضح موقعها الجغرافي .

وضمن نطاق السلسلة الجبلية الوسطى فإن رام الله والبيرة تقع على بعد ١٦ كيلو متراً إلى الشمال الغربي من القدس ـ عاصمة فلسطين ـ ، وعلى بعد ٥٠ كيلو متراً إلى الجنوب من نابلس . ويمكن أن يضاف إلى ماسبق أنها تتوسط المنطقة الجبلية من حيث كثافة السكان ، فهي في منطقة كثافتها السكانية تتوسط الكثافات السكانية العالية في المنطقة الشمالية (محافظة نابلس) والكثافات السكانية المنخفضة في المنطقة الجنوبية (محافظة الخليل) . وتقع رام الله والبيرة على ارتفاع يقرب من ٩٠٠ متراً عن سطح البحر ، وأما موقعها الفلكي حسب إحداثيات فلسطين فتقع على خط طول ١٦٨ غرباً ـ ١٧١ شرقاً وخط عرض ١٤٤ جنوباً ـ ١٤٧ شمالاً .

وإلى الجنوب من رام الله والبيرة وعلى بعد أربعة كيلو مترات فقط يقع مطار القدس الدولي . وتعبر رام الله والبيرة الطريق التي تصل بين القدس ونابلس بامتداد شمالي جنوبي ، كما أن هناك عدة طرق تصل بينها وبين كل من أريحا (من جهة الشرق ، واللطرون وعمواس من جهة الغرب) ، والطريق إلى نابلس لاتستغرق ساعة واحدة ، وكذلك إلى أريحا والبحر الميت ، وإلى الساحل الفلسطيني ساعة ونصف ، أما إلى القدس فلا تستغرق أكثر من ٢٠ دقيقة .

لقد نشأت رام الله والبيرة فوق عدّة تلال من هضبة جبال القدس الشمالية ، تتخللها أودية كثيرة قليلة الانحدار ، وتنتشر المدينتان فوق مساحة تبلغ ٢٨١٢ دونما ، أما مساحة ماتمتلكه المدينتان فقد بلغ ٣٦٧٥١ دونما[١] . ويعد مناخ رام الله والبيرة جيداً ، كما أنها تعد لذلك من أولى مدن الاصطياف في فلسطين . ويحل فصل الشتاء فيها بين تشرين الثاني ونيسان ، ومدة هذا الفصل ١٧٥ يوماً ، أما الأيام الممطرة في رام الله فلا تتجاوز التسعين يوماً في السنة . وقد ينزل الثلج في بعض الأحيان في شهر شباط ، وقد يكثر المطر في عام ويشح في عام آخر ، ومعدل سقوط الأمطار في رام الله والبيرة ٦٠٠ ملمتراً في السنة . أما درجة الحرارة فتتراوح بين ٢٣° م في فصل الصيف و ١٢° م في فصل الشتاء[٢] .

تتعرض رام الله والبيرة للرياح الشمالية الشرقية الجافة ، والرياح الجنوبية الغربية التي تحمل معها الرطوبة من البحر فتتسبب في هطول الأمطار وتساقط الثلوج في الشتاء عند انخفاض درجة الحرارة . كذلك تهب على المدينة رياح جافة كرياح الخماسين ، غير أن انتشار البلدة على عدة تلال تتخللها أودية قليلة الانحدار ، ووجود الأشجار الحرجية بكثرة تخفض من وطأة الرياح الحارة الجافة فيجلب لها ذلك المصطافين من جميع أنحاء البلاد ومن الدول المجاورة (قبل عام ١٩٦٧ م) . مما شجع الأهالي على العمران ، وبناء الفنادق ، والبيوت الجميلة والمتنزهات ، وهذا بالطبع ساهم في إيجاد مورد رزق لكثير من السكان .

وتقع رام الله والبيرة في المنطقة الشمالية (مناخياً) ، والبعض يدخلها ضمن نطاق مناخ البحر المتوسط ، وهي تتسنّم المرتفعات الواقعة بين غور الأردن والبحر المتوسط . وإلى الشرق منها يقع جبل مرتفع يشرف على البحر الميت كما يشرف على البحر المتوسط ، وهذا الجبل اسمه « جبل الطويل » دلالة على امتداده الطولي وارتفاعه . ورغم أن مناخ رام الله بارد شتاء ، إلا أنه نادراً ماتهبط درجة الحرارة إلى

---

(١) الدباغ ، مصطفى ، « بلادنا فلسطين » ، الجزء الثامن ، القسم الثاني بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٤ م ، ص ٢٣٤ ـ ٢٥٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٣٤ ـ ٢٥٨ .

مادون الصفر ، كما أن المناخ معتدل في بقية فصول السنة . ولكون المنطقة التي تقع عليها رام الله والبيرة بين غور الأردن والبحر المتوسط وعلى قمم المرتفعات ، فإننا نجد أن الرياح الغربية تهب عليها وتصطدم بتيارات دافئة وأحياناً حارة متصاعدة من منخفضات الغور ، وتلتقي الرياح القادمة من الشرق بتلك القادمة من الغرب فتقلل من رطوبتها ، وتجعلها أكثر انسجاماً مع مستلزمات الجسم للهواء ، إذ تجعل الهواء معتدلاً جافاً . كذلك فإن ارتفاع رام الله والبيرة يقلل من الرطوبة التي يحملها الهواء القادم من البحر ، خاصة في فصل الصيف .

والواقع أن هذا المناخ ساعد على وجود مناظر طبيعية خلاّبة في رام الله والبيرة ، ففي الغروب مثلاً وعند منطقة « باطن الهوى » جنوب غرب المدينة يطل الناظر إلى البحر والشمس تغرب ، كذلك يقع بالقرب من هذه المنطقة « وادي الكلب » و « وادي العقدة » و « شعب الضرس » ، وفي المنطقة الشمالية تقع منطقة « الخضّارة » ومنطقة « البالوع » و « وادي الشومر » . ومما يزيد حسن منظر البلدة الأزهار التي تنمو على التلال ، ففي كانون الثاني وشباط تزهر نباتات النرجس وبكثرة ، وفي أواخر آذار تنمو كثير من الأزهار البرية مثل : قطّين الغزال ، وحنون الغزال ، وغليون سيدي ، وحنون الدولة بألوانها المختلفة الزاهية[١] .

وتحيط برام الله والبيرة الأراضي المزروعة بأشجار الزيتون وكروم العنب والتين ، وهي تنتشر على مساحات واسعة حول المدينة . وهي كما سبقت الإشارة من أفضل المصايف الفلسطينية نتيجة لارتفاعها المعتدل عن سطح البحر ، بحيث يستطيع الناظر من على ذراها أن يشاهد أفتن المناظر وأبهاها ، من سهول ووديان وجبال ، على امتداد الأفق حتى ساحل البحر المتوسط ، ويمكن مشاهدة ميناء يافا من هذه التلال .

يكاد العمران في رام الله والبيرة يمتد حتى يصل إلى مطار القدس الدولي جنوباً ، وتتشابك الأبنية في رام الله والبيرة ، حتى قد يعجز الكثيرون عن التمييز بين

---

(١) أبو ريّا ، خليل ، « رام الله قديماً وحديثاً » ، من منشورات الاتحاد الأمريكي لرام الله ، فلسطين ، بدون تاريخ نشر ، ص ٤ .

أبنيتها في الأمكنة التي تتصلان بها ، وفي أمكنة الالتقاء تكثر الحركة وتنشط أعمال التجارة وحركة المرور .

نشأة التسمية وتطورها :

البيرة :

البيرة أقدم من رام الله ، والأخيرة كانت خربة إلى الغرب من البيرة . والبيرة (كما يقول المؤرخ عارف العارف في تقديمه لكتاب (مدينة البيرة : مصيف الأردن الجميل للأستاذ محمد حماد)[1] من المدن الكنعانية القديمة ، وكانت فيما مضى تدعى « بئيروت » . مرّ منها جدّ الأنبياء إبراهيم عليه السلام عندما خرج من أور الكلدانيين ، ونزل أرض كنعان في طريقه إلى مصر . وكان ذلك في أواخر القرن الثامن عشر قبل الميلاد . وأغلب الظن أن الذين بنوها هم « الحثيّون » ، وأنها بنيت في الفترة التي بنيت فيها أختها « يبوس » أي القدس القديمة ، وهي أيضاً مدينة كنعانية بناها اليبوسيّون ، وهم أول من وضع أول لبنة في بناء القدس ، وكان ذلك عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد .

وكلمة (بئيروت) اسم البيرة القديم ـ كلمة كنعانية ـ وكذلك الحال عن جارتها (بيت ايل) أي بيت الله ، وهو إسم (بيتين) القديم ، وكلتاهما كنعانيتان . والكنعانيون هم سكان هذه البلاد الأقدمون ، وقد استوطنوها قبل بني إسرائيل ، وقبل أن ينزلها إبراهيم عليه السلام ، أنهم من القبائل العربية التي وجدها إبراهيم في هذه البقعة من الأرض وفي الإصحاح الخامس عشر (العدد ١٩) من سفر التكوين الخبر اليقين[2] .

ويبين لنا مصطفى الدباغ[3] أن البيرة بلدة قديمة تعود بتاريخها إلى العرب

(١) حماد ، محمد ، « مدينة البيرة : مصيف الأردن الجميل » ، مطبعة الشرق ، رام الله ، ١٩٦٦ م ، ص ٦

(٢) نفس المصدر ، ص ٦

(٣) الدباغ ، مصدر سابق ، ص ٢٥٦

الكنعـانيين ، وأن بعضهم قـد ذهب إلى أن بلـدة « لبـوان » أو « بيت لبـوات » بمعنى اللبوة كانت تقوم على بقعتهـا ، ثم أقيمت على الموقع مـدينـة « بيت مرئي » بمعنى بيت خليفتي ، إلا أن القول المعوّل عليـه هو أن البيرة بنيت على مكان مـدينـة « بئيروت » بمعنى آبار الكنعانية . وفي العهـد الرومـاني حملت اسم (Berea) من أعمـال القـدس ثم حرّف إلى البيرة ، وتذكر دائرة المعارف الإسلامية (المجلـد ٨ ص ٥٥٤) البيرة[1] : اسم عدة أماكن تقوم بعامة في النواحي التي كان يتكلم فيها يوماً بالآراميـة ذلـك أن البيرة هي ترجمة اللفظ الآرامي « بيرتا » أي القلعة أو الحصن .

ويتابع الدبـاغ قـائلاً عن البيرة : ذكرهـا الفرنجـة وبنوا فيهـا عـام ١١٤٦ قلعـة صغيرة وكنيسة ـ ما زالت بقاياهـا ظـاهرة حتى اليوم ـ وداراً ينزل فيهـا حجـاج بيت المقدس . وفي القرن الثالث عشر كانت البيرة مركزاً من مراكز فرسان المعبـد . ويشير الدبـاغ إلى أن صـاحب معجم البلـدان ٥٢٦/١ هـ قـد ذكر البيرة بقولـه « البيرة : بين بيت المقدس ونابلس خرّبها الملك الناصر حين استنقـذهـا من الإفرنج رأيتهـا » . ولمـا سلّم الملك الكامل القدس للإمبراطور فريدريك عام ٦٢٦ هـ اتخذت البيرة مقراً للوالي الذي عهد إليه إدارة شؤون القرى الواقعة خارج المدينة المقدسة .

في القرن السـابع عشر للميلاد ترك الشيـخ حسين طنّـاش وجمـاعتـه منـازلهم في منطقـة الكرك ، ونزلوا « البيرة » التي كانت تسكنهـا عشيرة « الغزاونـة » . وطنـاش هـذا هو جـد (حمولـة) آل حسين في البيرة . وكان ذلـك في الوقت الـذي نزلت فيـه جماعة « الحدادين » خربة رام الله ـ غير المأهولة ـ إلى الغرب من البيرة .

وفي عام ١١٢٢ هـ (١٨٠٧ ـ ١٨٠٨ م) : نزل البيرة الرحالـة البكري الصـدّيقي وقال : « ولم نزل نجدّ حتى وصلنا قرية البيرة » ، وذكرها في رحلته الحجازية الثانيـة « وسرنا إلى قرية البيرة » .

ويـذكر لنـا مؤلف كتـاب مـدينـة البيرة : مصيف الأردن الجميـل[1] أن تركيـا رحلت عن البلاد مخلفـة وراءهـا جهلاً وفقراً وفوضى ، وحل محلهـا انتـداب بريطـاني

(١) نفس المصدر ، ص ٢٥٦

(١) حماد ، مصدر سابق ، ص ١٨ ـ ١٩ .

غاشم يهدف إلى وضع البلاد بأسرها في أحوال علمية واقتصادية وتجارية تسهّل قيام الوطن القومي لليهود في فلسطين . وأخذت البيرة تعتمد على سواعد أبنائها للحصول على أسباب معيشتها فأخذوا يجدّون في زراعة بدائية ، ورغم أن محاصيل البلدة لم تكن تكفي لحاجة أبنائها فإنهم ثابروا للحصول على حاجياتهم . وقد كان أهل البيرة يعبرون نهر الأردن سعياً وراء الحبوب عندما تمحل الأرض في بعض السنوات . ويجب أن لا يغيب عن البال ، أن حروب تركيا المتعاقبة في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، كانت قد أفقدت البيرة الكثير من الأيدي العاملة ، ثم جاءت الحرب العالمية الأولى التي زادت الطين بلّة ، وما أن وضعت الحرب أوزارها حتى بدأ العديد من أبناء البيرة بالهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية مقتفين بذلك العمل إثر نفر كريم من إخوانهم . وإثر ذلك تتابع تدفق الأموال على البيرة حيث بعث فيها الانتعاش . وقد ساهم المغتربون من أهل البيرة في تعمير المدينة من حيث المباني ، كما ساهموا في تكاليف شق الطرق وتعبيدها وتوسيع المدارس ، حيث استجابت حكومة الانتداب تحت ضغط الأهالي إلى فتح بعض المدارس . وازداد العمران في البيرة إثر نكبة ١٩٤٨ م وتدفق عدد كبير من اللاجئين إلى المدينة حيث تضاعف عدد السكان ، وتضاعف مع ذلك الإقبال على البناء ، فتطورت المدينة صناعياً وتجارياً وأقيمت الأبنية الحكومية مثل بناية الدوائر الحكومية المجمعة إلى الشمال من مدرسة الفرندز ، والتي شغلتها فيما بعد مدرسة العلائية للمكفوفين . كما أنشئت حديقة بلدية البيرة ، والجامع القديم والحديث ، ومستشفى الحرس الوطني ، وسوق الخضار وموقف الباصات ، وفندق هيلتون .

رام الله :

تضاربت الأقوال بخصوص من سكنها ، وبخصوص الاسم الذي كانت تحمله قبل تسميتها باسم رام الله ، وهناك العديد من الأقوال لا يعرف مدى صحتها ، قال بعض المؤرخين أن رام الله ذكرت في التوراة باسم أرتايم صوفيم مسقط رأس النبي صمويل ، إلا أن هذا القول مناقض لما ورد عن موقع مسقط رأس النبي صمويل الأول في الاصحاح الحادي عشر والذي تشغله الآن قرية النبي صمويل إلى الجنوب من رام الله

بمسافة سبعة كيلو مترات . وقال البعض الآخر أن رام الله كانت قرية تحمل اسم فكولا وقد ذكرها المؤرخ يوسيفوش ، والواقع أن هذه القرية من ضواحي القدس . وقال آخرون أن رام الله هي « جليات إيلوهيم » أي بلدة الملك شاؤول ، الذي وصلها عندما كان يفتش عن الابن ، إلا أن مصادر تاريخية تقول أن المكان المسمى بهذا الاسم يقع بالقرب من قرية شعفاط . وعمد آخرون إلى القول بأن رام الله كانت مستعمرة فرنسية ثم أصبحت صليبية في القرن الثاني عشر بعد الميلاد ، والبرج الموجود فيها في ـ حارة الشقرة ـ يثبت ذلك ، وكذلك وجود كنيسة للصليبيين في مدينة البيرة بناها الصليبيون ، حيث قيل أن يوسف ومريم مرّا بها إلى القدس يطلبان السيد المسيح عليه السلام حيث وجداه في الهيكل .

أما اسم رام الله فهناك تفسيرات عديدة : إن كلمة « رام » تعني المرتفع من الأرض ، وأطلق عليها الاسم شأن كل قرية أو مدينة تقع في مرتفع من الأرض مثل الرام والرامة وغيرها . والفعل رام (العربي) بمعنى القصد ، بهذا يكون المعنى (رام الله) قصد الله[١] .

وذهب بعض المؤرخين إلى أن الرامة هي التي تحدث عنها العهد الجديد ومنها يوسف ، الذي أخذ جسد المسيح ودفنه في قبره ، ولم نر لرام الله ذكراً في العهد الروماني إلا أن بعضهم قال : إن هناك قريتين كانتا تقومان على بقعة المدينة الحالية واحدة في مرتفعاتها الشمالية تحمل اسم (Gabaon) والثانية (Eleasa) في جنوبها[٢] . ويبدو أن بقعة رام الله في الفتح العربي الإسلامي كانت خربة وكانت أهميتها لجارتها البيرة . إلا أنه يظهر أنها أخذت تنمو شيئاً فشيئاً حاملة اسم (رام الله) ، فالإفرنج في حملاتهم في العصر الوسيط كانوا يدعونها (Ramalie) فبقايا البرج القائم في البلدة القديمة هو من بقايا مبان إفرنجية[٣] .

---

(١) الخواجا ، نعمة ، « المدينتان التوأمان : رام الله والبيرة » ، جريدة القدس ، أكتوبر عام ١٩٨٥ م ، (غير معروف رقم العدد) .

(٢) الدباغ ، مصدر سابق ، ص ٢٣٥

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٣٥

ويذكر أن رام الله كانت من البلدان التي أوقف الملك قلاوون عشر منتوجات أرضها على حرم الخليل . وقد وصف مؤلف تاريخ مدينة رام الله المدينة في هذه الحقبة بقوله : (يقال أن رام الله في هذه الفترة كانت مستعمرة زراعية صليبية ، وبقيت رام الله خالية من السكان من أواخر القرن الثالث عشر بعد الميلاد إلى أوائل القرن السابع عشر بعد الميلاد عندما رحلت إليها عشيرة الحدادين)[١] .

إن أفضل ما جاء من تفسيرات عن اسم رام الله هو ما جاء في كتاب رام الله قديماً وحديثاً[٢] ، من أنه لم يرد ذكر لرام الله في العصور التاريخية السابقة لعصر الصليبيين ، مما يدل على أنه لم يكن لها أهمية تذكر ، إذ كانت قرية كباقي القرى المبنية على الجبال ، ولا تمتاز بشيء خاص ، إلا أن عدم ذكرها قبل العهد الصليبي لا ينفي وجودها . ويذكر مؤلف رام الله قديماً وحديثاً أن كلمة (رام الله) تتألف من مقطعين : الأول (رام) وهو لفظ آرامي يعني جبل أو مرتفع ، وهناك اليوم عديد من القرى الفلسطينية التي يطلق عليها اسم رام ورامة وهكذا ، فالاسم الآرامي لقرية فلسطينية ليس غريباً ، خصوصاً إذا علمنا أنه مرّ عهد على فلسطين كانت اللغة السائدة فيها هي الآرامية ، أما المقطع الثاني (الله) فهو عربي صرف ، وكل هذا يحملني إلى الاعتقاد بأن اسم (رام الله) كان أولاً (رام) أو (رامة) . وحدثني أحد الأصدقاء من رام الله أنه رأى وثيقة تعود إلى العهد التركي تسمي الشعب الغربي المطلّ على وادي الكلب باسم (شعب رامة) . ولما جاء العرب لسبب ما أضافوا لفظة (الله) إلى رام أو رامة فأصبحت تدعى رام الله أو رامة الله ، إذ لا يعقل أن يضيف شعب غير عربي لفظة عربية إلى لفظة أخرى . أما لماذا أضاف العرب لفظة (الله) إلى رام الله أو في أي زمن تم ذلك ، فهذا غير معروف إلا أنه من الثابت أن إضافة كلمة (الله) إلى (رام) قد تمّ قبل العصور الصليبية ، وإن اسم (رام الله) كان معروفاً في العهد الصليبي .

وذكر المؤرخ الفرنسي (E. Rey) نقلاً عن مخطوطة قديمة أن (Ramelie)

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٣٥

(٢) أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ١٢ - ١٣

كانت عقاراً أو قطيعة صغيرة للصليبيين في ضواحي القدس في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر للميلاد ، وأن (Ramelie) هذه تدعى اليوم (Ramallah) . أما ماذكره بعض علماء التوراة من أسماء ظنوا أنها لرام الله فقد ثبت من الحفريات التي جرت فيها أنها لأماكن أخرى غير رام الله . وأما ماذكره ياقوت الحموي عن رامة بأنها إحدى قرى بيت المقدس ، فيها مقام لإبراهيم الخليل فهي ليست (رام الله) ، ولو أن هذا الوصف ينطبق عليها إلى حدٍّ ما . إن رامة ياقوت لاتزال تحتفظ باسمها وهي تبعد عن مدينة الخليل نحو ميلين إلى الشمال[1] .

والشيء المؤكد الذي لاخلاف فيه ، أنه لما جاءت عشيرة الحدادين في أواخر القرن السادس عشر ، سكنت في موقع أقرب مايكون إلى خربة وغابة حرجية اسمه رام الله ، وفيه مقام لإبراهيم الخليل ، وبرج مهدم كان يستعمل للحراسة ومعصرة للزيتون .

أما عن تطوّر رام الله فقد ظلت متأثرة بالأحكام الإقطاعية والعشائرية في ظل الحكم التركي ، حتى عام ١٩٠٢ ، عندما أصبحت (قصبة) الناحية ، أي مركزاً للقرى المجاورة لها ، وأصبح يحكم ناحية رام الله موظف يدعى (مدير) وأول مدير لناحية رام الله هو أحمد مراد من القدس ، وقد قام ببعض الإصلاحات فوسّع الطرق وأجبر الأهالي على المحافظة على النظافة . وكانت تحافظ على الأمن في رام الله ، قوة من البوليس بقيادة ضابط ، كما أنشئ في رام الله محكمة فيها حاكم صلح وقاضٍ شرعي . وساعدت الترتيبات الجديدة على تقدم رام الله نوعاً ما إذ صار السكان يفدون إليها من القرى المجاورة لملاحقة أمورهم في دوائر الحكومة البسيطة . غير أن رام الله كانت قصبة من الناحية الفعلية قبل عام ١٩٠٢ ، فقد كان القرويون يفدون إليها حاملين محاصيلهم الزراعية ليبيعوها ويشتروا مايحتاجون ، وكذلك البائعون من المدن خصوصاً من نابلس كانوا يأتون إلى البلدة ليبيعوا بضائعهم خصوصاً الملابس والقماش .

وقد تقلب على رام الله منذ تأسيس المديرية حتى انتهاء الحكم العثماني خمسة

---

(١) أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ١٣

مـدراء بعضهم عرب وبعضهم أتراك . وفي عــام ١٩١٠ م تــأسست بلــديــة رام الله ، وأخذت تعالج مشاكل السكان الاجتماعية والصحية والأمنيـة . وتـأسس مجلس بلـديـة رام الله في عـام ١٣٢٨ هجريـة الموافق للأول من نيسـان عـام ١٩١٠ ميلاديـة . وكانت أول اهتمامات المجلس نظافة البلدة ، حيث أول مـاقرره المجلس دفع أجر إلى أصحـاب الدكاكين والسكنى ، لأجل قيامهم بتنظيف البلـدة وإنـارتهـا ، وتغريم كل من يطرح القمامـة في الشـوارع ، أمـا إنــارة البلــدة فكانت تجري بفـوانيس الكاز . وقرر المجلس كذلك إنشاء سوق للحيوانات (المواشي) كل يوم خميس ، وتعيين نـاطور (حـارس) على أشجار ومزروعات البلدة . واهتمت البلدية في سنيهـا الأولى بشق الطرق فعمّرت الطريق الغربية المؤدية إلى الكروم ، كما شقت الطرق المؤدية من رام الله إلى البيرة .

ولم ينحصر نشاط المجلس البلدي في شؤون رام الله فحسب بل تعداهـا إلى القرى المجاورة ، فقد ورد في سجلات البلدية وقراراتها أنه تمّ في عـام ١٩١١ م صرف (خمسين قرشـاً) إلى الـدكتور فيليب معلوف بـدل كشفيـة ضـد أمراض سـاريـة في قريـة دير دبوان ، و (خمسين قرشاً) مقابل ذهابـه إلى الطيبـة لنفس الغرض ، ومرة ثـالثـة عن يبرود .

وعند بدء الحرب العالمية الأولى حدّد المجلس أسعار الحاجيات ، خصوصـاً أسعـار المواد الغذائية ، وذلك خوفاً من تلاعب التجار ومحلات البقالـة . كما اهتم بتوفير الميـاه للبلدة ، ففي هذه السنة ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م قلّت الأمطار ، فأخذت البلديـة بتعمير عين مصبـاح بـأن جرّت إليهـا ميـاه عين أبو الكرزم ، كما عمّرت أيضـاً عين مـزراب . وخوفاً من انتشار الأوبئة زمن الحرب فقد نبّه المجلس البلـدي على أصحـاب المحلات في رام الله والبيرة بعمل مرافق صحيّة داخل محلاتهم ، وكـذلـك تقرر إنشـاء سلخـانـة . وبعـد انتهـاء الحرب العـالميـة الأولى ودخول الإنجليز إلى البـلاد عـاود المجلس البلـدي نشاطه ، وكان اهتمامه في فترة مـا بعـد الحرب مبـاشرة على أشـدّه في الأمور الصحيـة ، فأنشأ محرقة للنفايات ، وعين مأموراً صحيّاً يتجول في أحياء البلدة والقرى المجـاورة . وتعاونت البلـديـة مع أصحـاب المقـاهي والبقـالات لأجل التنظيفـات والإنـارة . كما اضطرت لأن تعمل المرافق الصحية في المحلات اللازمة لأن الأهالي لم يقوموا بـذلـك .

وعيّنت البلدية من يعتني بتطهير وادي الدلب في كروم التين والعنب من البعوض ، وأنشأ الجيش البريطاني مستشفى للأمراض السارية في دار أبو حنا الأنقر في المسكوبية[1] . وفي عام ١٩١٩ م طلبت البلدية إلى أحد المهندسين في مدينة بيت لحم أن يرسم ثلاث خرائط تنظيمية للبلدة ، وأشرف على شق عدّة طرق وعلى تعبيد بعضها ، وتقرر كذلك استعمال الفوانيس لإنارة البلدة . وفي عام ١٩٢٠ ـ ١٩٢٣ م أنشئت دار البلدية ووضعت المدينة ضمن حدود معينة للحد من البناء العشوائي . وفي عام ١٩٢٣ م نشط العمران في رام الله حيث بدأت المدينة تستقبل أموالاً من أبنائها المغتربين في أمريكا . وقد تمّ غرس الأشجار في الشوارع والطرقات ، كما وسّعت المساحة عند مفترق الطرق المؤدية من رام الله إلى كلّ من القدس والبيرة ، بير زيت وعين مصباح ، وعين عريك ، وبني في هذه الساحة منارة وتعرف باسم ميدان المنارة وهو أكبر الميادين في المدينة وظلت منذ ذلك الوقت حتى أزالها الاحتلال عام ١٩٨٥ م بحجة تنظيم حركة المرور في المدينة ، وفي عام ١٩٢٣ م ظهر قانون للبلديات وقدّم المجلس طلباً إلى حاكم رام الله لاعتبارها مدينة . وقامت البلدية في السنوات ١٩٢٣ ـ ١٩٢٥ م بتعمير عيون الماء وتنظيم السقاية منها وإصلاح بعض العيون . وقد استخدم أهل رام الله الآبار داخل منازلهم إلى جانب عيون الماء . وفي عام ١٩٢٤ م قرر المجلس إنشاء حديقتين عامتين في المدينة إلا أن تنفيذ ذلك لم يتم إلا في عام ١٩٦٠ م .

وفي يوم الإثنين ١١ تموز عام ١٩٢٧ م وفي الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهر حدث زلزال عنيف في البلاد أعطب كثيراً من البيوت القديمة ، ولكن الخسارة في الأرواح لم تزد عن مقتل شخصين . وفي عام ١٩٢٨ م تمّ تعبيد شارع رام الله البيرة حتى المنارة وتمّ فتح شارع السهل ، وإصلاح شارع رام الله يافا لأن بعض الأهالي كان ينوي إنشاء فندق في هذا الشارع . وفي عام ١٩٣٠ م نظراً لكثرة المصطافين حاولت البلدية الحصول على قرض من الحكومة بمبلغ (٢٠٠٠) جنيهاً لبناء وتعبيد الطرق الرئيسية لتشجيع الاصطياف[2] .

---

(١) أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ١٤

(٢) أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ٣٥

وفي عام ١٩٣٢ م اكتمل تعبيد شارع رام الله البيرة حتى مدرسة الفرندز ، وفي عام ١٩٣٣ م اتفق المجلس مع شركة الكهرباء على أن تنار البلدة بالكهرباء ، وتعهد المجلس البلدي بإعطاء الشركة أرضاً لبناء كشك تحويل القوة الكهربائية ، وتقديم الحجارة المطلوبة مقابل أن تعطي الشركة ضوءاً قوته (٣٠٠) واط ، وجهزت الشوارع بالعدد والمواد الكهربائية[1] .

وفي عام ١٩٤٠ ـ ١٩٥٢ م تمّ إنشاء العديد من المدارس في المدينة ، كما تمّ إنشاء متنزه بلدية رام الله في عام ١٩٦٠ م وتمّ في العام نفسه بناء جامع تابع لدائرة الأوقاف الإسلامية ، وبدئ في عام ١٩٦٠ م بإنشاء سوق للخضار ، وظهر بعد ذلك أنه لا يصلح لذلك الاستخدام ، وإثر الاحتلال الإسرائيلي أجريت بعض التعديلات عليه واستخدم كمجمّع للدوائر الحكومية . وفي عام ١٩٧٤ م بدئ بتنفيذ مشروع المجاري في المدينة وتمّ الانتهاء منه في عام ١٩٨١ م .



(١) المصدر نفسه ، ص ٣٦

تاريخ البيرة ورام الله :

البيرة :

مهما اختلف المؤرخون في البئر الذي ألقي فيه يوسف بن يعقوب عليهما السلام ، فإن هذا الاختلاف لم يخرجه عن أن يكون قريباً من الطريق التي كانت تطرقها القوافل المتجهة من الجنوب إلى الشمال أو بالعكس . وغنيّ عن البيان أن تلك الطريق كانت تمرّ من العديد من القرى والأماكن ومن جملتها مدينة البيرة التي كانت تحط فيها الرحال طلباً للراحة والاستجمام وسعياً وراء الطعام والماء والاستماع إلى شاعر يقصّ قصة أو أغنية .

ويوجد في البيرة نبع ماء عذب (قديم) ، ولا شك أن هذا النبع كان معروفاً لتلك القوافل ، ولعل مرور القوافل على هذا النبع هو الحافز الذي حفز الأهالي - في ذلك الوقت - إلى إقامة أكثر من بناء لتزويد المسافرين بحاجاتهم من طعام لقاء مال أو مبادلة تجارية[1] .

وعلى التل المرتفع الواقع إلى الجنوب من البيرة (تل النصبة) الذي كانت تكسوه الأشجار ، وكانت فيه أبنية ومركز حصين ذو أسوار ، ولقد كشف المؤرخون عن آثار تشهد بأن هذا التل كان مسكوناً من قبل أقوام لهم حضارتهم العريقة ، وقد ورد في التوراة أن (دفورا) كانت تجلس تحت أشجار هذا التل وتقضي وتنظم الشعر . كما أظهرت الآثار أن هذا التل كان محاطاً بالأسوار المنيعة مما يدل على أنه كان معقلاً حربياً . ثم يأتي الإنجيل ليحدثنا بأن السيد المسيح كان يمر بالبيرة في طريقه إلى الناصرة ومنها إلى القدس ، وقد حدث له وهو عائد إلى الناصرة أن تخلف مع فتيان البيرة الذين كانوا يلهون ويلعبون على نبع الماء ، وهكذا ضلّ عن أمّه وعن يوسف النجار مما اضطرها إلى العودة إلى القدس لكي تبحث عنه[2] .

وتوجد بعض الآثار العربية اليبوسية (الكهوف المنحوتة في الصخر والمقابر في

---

(١) حماد ، مصدر سابق ، ص ١١

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١

داخل الكهوف) ، كما يوجد فيها المعاصر التي كان العبرانيون يعصرون فيها العنب ليصنعوا منه الخمر حيث كانت المنطقة غنية جداً بأشجار الكرمة .

ودخلت البيرة في العهد الإسلامي عند الفتح العربي في حوزة المسلمين ، وسكنتها قبائل عربية . إذ كان يرافق الجنود الفاتحين عائلاتهم التي كانت تستقر في الأماكن التي يستقر فيها الجنود الفاتحين . ولسنا نعرف شيئاً مفصلاً عن أهل هؤلاء الجنود ولا عن القبائل التي كانوا ينتسبون إليها .

في عام ١٠٩٩ م سقطت البيرة في أيدي الغزاة الصليبيين قبيل احتلالهم لمدينة القدس ، فأقاموا فيها ردحاً من الزمان ، ولا شك أنها كانت ذات مركز ممتاز لهم إذ تدل الآثار التي خلّفوها على أنها كانت كذلك . وفي عام ١١٨٧ م أي بعد ثمان وثمانين سنة من غزو الصليبيين عبرت البيرة جيوش صلاح الدين في طريقها إلى بيت المقدس ، وهي المدينة نفسها التي تم فيها لصلاح الدين انتزاع بيت المقدس من أيدي الصليبيين ، وفي عام ١٥١٧ م غزاها الأتراك العثمانيون أثناء زحفهم لاحتلال بيت المقدس .

وعاشت البيرة في العهد التركي عربية إسلامية رغم الجهل الذي كان يسيطر على الإمبراطورية العثمانية آنذاك . وعرف أن البيرة كانت مأهولة أثناء الاحتلال التركي بعشائر وقبائل عربية ، وأشهر تلك العشائر (الجبرة) و (اليعاقبة) و (الزعاربة) و (الغزاونة) . وكانت البيرة مدينة كبيرة تضم عدداً من الأبطال ، وكان يحيط بها قرى كبيرة قوّةً ورجالاً ، فأنشأت تركيا من رجال البيرة ومن رجال القرى المجاورة فرقة عسكرية عرفت باسم : (طابور البيرة) ، وقد حاربت هذه الفرقة جنباً إلى جنب مع الأتراك . وآزرت تلك الفرقة الجزار باشا والي عكا في حربه مع نابليون بونابرت ، وأبلت معه بلاءً حسناً ، فما كان منه إلا أن خلع على شيوخ البيرة خِلعاً سنيّة ، كان لها أثر سيء على البلدة فيما بعد حيث أن هذه الخِلع استلمها شيوخ وحُرِمَ منها آخرون ، فكانت السبب فيما بعد في خصومة شديدة بين أبناء البلدة من عشيرة حسين[1] .

---

(١) أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ١٤ - ١٥

ولما كانت للبيرة قوتها ومركزها ، ولما كانت لها فرقة محاربة ضمن الجيوش العثمانية ، فإنها بحكم هذه الروابط ، كانت مضطرة لأن تحارب إبراهيم باشا ، ولكن هذه الحرب لم تطل حيث سارع إبراهيم باشا إلى المنطقة واحتل قرية البرج القريبة من البيرة ودمرها وهدمها ، وبذلك أوقع الرعب بين أهالي المدينة الذين بادروا إلى المهادنة ودفع الفدية ثم الاستسلام .

وعندما بدأ الاحتلال البريطاني قاومت البيرة الاحتلال ، فقامت سلطات الانتداب بإبعاد بعض شيوخ البيرة إلى مصر ، واشتركوا في ثورة ١٩٢١ م وثورة ١٩٢٩ م ، وقاموا بدور فعال في إضراب عام ١٩٣٦ م ثم بالنضال الذي دام ثلاث سنوات بعد ذلك الإضراب .

رام الله :

إن المصادر التي تُحدّثنا عن أصل سكان رام الله لا تتعدى الروايات التي تتناولها عشيرة الحدادين في شرقي الأردن ، والروايات التي وصلت بعض المؤلفين والمؤرخين من أسلافهم ، وتناقلها أهل البيرة ورام الله ، ومعظم الذين كتبوا عن رام الله اعتمدوا على تلك الروايات . ويميل الأستاذ خليل أبو ريّا ـ مؤلف كتاب رام الله قديماً وحديثاً ـ إلى الاعتقاد بأن جميع حمائل البلدة أخوة ، وأبوهم راشد ، ويؤكد ذلك بقوله « لما ذهبت إلى قرية (ماعين) في شرقي الأردن عام ١٩٥٣ م للبحث عن أصل سكان رام الله ، اجتمعنا مع وجوه الحدادين ومعمريهم ، فأطلعونا على شجرة عائلة الحدادين المنحدرين من شيخ صبرة ، فلم أر لأي من أبناء صبرة اسماً ينطبق على اسم أي من جدود حمائل رام الله الخمس ، وقالوا لنا أن حدادي شرقي الأردن هم أبناء صبرة ، ونحن في رام الله أولاد راشد أخ صبرة »[١] . هذا ويرى الأب دون ديسار في مقالة عن أهل رام الله أن جميع أهل رام الله هم أبناء راشد ، ولا بد أنه سمع ذلك من بعض المحدثين المعمرين في زمانه حيث نشرت مقالته عام ١٩٠٥ م[٢] . ويضاف إلى

(١) أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ١٤ ـ ١٥

(٢) أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ١٤ ـ ١٥ ، ومقالة دون ديسار تبحث في هجرة راشد الحدادين وأولاده إلى رام الله ، والمجلة المنشور فيها المقال اسمها (Revue Biblique) وموجودة في مكتبة الآباء الدومنكان في القدس .

ذلك أن تقسيم أراضي البلدة إلى خمسة أخماس بالتساوي يُرجّح الرأي القائل أن حمائل البلدة ينتسبون إلى خمسة أخوة أبوهم واحد وهو راشد الحدادين .

ولا خلاف على أن أهل رام الله هم من عشيرة الحدادين ، وأبناء هذه العشيرة يسكنون الآن في ماعين / مادبا وفي الكرك وغيرها من القرى الأردنية . ومن المحتمل أن كلمة حدادين أطلقت عليهم بناءً على الصناعة التي كانوا يمارسونها في أول نشأتهم (أي الحدادة) ويزعم (الحدادين) أنهم من الغساسنة الذين كانوا يسكنون أصلاً في نجران في اليمن ثم نزحوا عنها وسكنوا إذرح غربي معان ، وكانوا قد تحضّروا في إذرح وعرفوا الري والزراعة خاصة زراعة العنب والتين والزيتون وأنشأوا طاحونة على عين إذرح . وفي أوائل القرن الحادي عشر كانت قبائل (القياصمة) قد بدأت بالهجرة من الحجاز شمالاً . وفي منتصف القرن الثالث عشر امتدت هجرة بعض هذه القبائل إلى أراضي الشراة وإذرح . ولما رأى أمين القياصمة العمار السائد بأراضي الحدادين في تلك الديار طلب منهم المرعى ، فلم يسع (الحدادين) إلا أن يستقبلوا عربان القياصمة على الرحب والسعة خوفاً منهم . وهكذا نشأ بين الحدادين والقياصمة حسن جوار ومعشر ، وتعاهدوا أن يبقوا على الود والصفاء . وحدث أن جاءت أعوام محل على عربان الحجاز فاضطرت بعض القبائل إلى الهجرة شمالاً ، وكانت قبائل (العمر) من بين تلك القبائل . وصلت قبائل (العمر) إلى أرض الشراة وطلبوا المرعى من ابن قيصوم فمنعه هذا عنهم ، فنشأ العداء بين العمر والقياصمة ، وأخذ بعضهم يغزو البعض الآخر ، إلا أن القياصمة ظلوا أسياد الموقف لأن (ابن وادي) شيخ العمر و (ابن قيصوم) كان بينهما صلة نسب مما منع تآلب عربان العمر على ابن قيصوم .

وفي أوائل القرن السادس عشر أمحلت أرض الشراة ، فاضطرت العربان للرحيل طلباً للكلأ والمرعى ، وتضعضعت أحوال الحدادين بسبب القحط من جهة ، ولتعدي العربان على المزروعات والكروم من جهة أخرى ، فلما همّت القياصمة بهجر البلاد لم يستطع (الحدادين) البقاء خوفاً من تعديات العربان العمر ، فهجرت البلاد مع القياصمة واستوطنوا منطقة الشوبك والكرك ، واستقر (الحدادين) في الكرك والشوبك في مناطق التجارة والصناعة ، واستقر القياصمة العربان حولها ، وتحسنت

أحوال (الحدادين) ، فاستثمروا الأرض ، واعتنوا بتربية الماشية والأغنام إلى جانب التجارة ، وكسبوا ثقة العربان ومحبتهم لكرمهم وعطائهم . وكانت تجاور الحدادين في الكرك عائلة إسلامية تدعى (البنوية) كانت تربطها بالحدادين صداقة متينة وثقة متبادلة .

أما القياصمة فكان أميرهم في ذلك الوقت في أواخر القرن السادس عشر « الأمير ذياب بن قيصوم » ، وتقول الروايات أن هذا الأمير كان ظالماً غشوماً ومستبداً ، وحدث ذات يوم أن كان ذياب بن قيصوم في ضيافة شيخ الحدادين راشد بن صقر ، وإذا بالمبشر يبشر راشد بمولودة أنثى ، فما كان من ابن قيصوم إلا أن طلب المولودة من راشد زوجة لابنه عندما تكبر ، ولم يسع راشد إلا أن يجيب ابن قيصوم إلى طلبه آخذاً ذلك في سبيل المزاح والمداعبة .

وكبرت البنت وقاربت سن الزواج ، فأرسل ابن قيصوم يطلب يدها لابنه مذكّراً راشد بوعده ، فاستنكر راشد هذا الطلب ورفضه ، فأرسل ابن قيصوم يتهدد ويتوعد إن هو لم يجب طلبه . وفعلاً قبض ابن قيصوم على ولدين من أولاد الحدادين وهدد بقتلهما فرد عليه راشد « في العيال ولا في العرض والدين » . فما كان من ابن قيصوم إلا أن أخذ الولدين إلى مكان مرتفع يدعى « باطن الطويل » وربطهما إلى حجر ودحرجهما إلى أسفل فسميّ المكان « مدحل أولاد الحداد »[١] .

ولما رأى راشد أن لاحول له ولا طول بمقاومة ابن قيصوم ، لم ير أمامه طريقاً إلا أن يغادر منطقة الكرك ـ الشوبك ، فبعث إلى ابن قيصوم أن يمهله مدة ليجهز الفتاة ثم يبعث من يأخذها ، ووافق ابن قيصوم على ذلك . وفي الحال قصد راشد أحد أصدقائه من العائلة البنويّة اسمه حسين ، وعرض عليه أمره ، ويظهر أن حسين هذا كان يتذمر من استبداد ابن قيصوم وظلمه . وبعد التشاور في الأمر قرر الإثنان أن يغادرا منطقة الكرك مع عيالهما ، وفي جنح الظلام حملا أمتعتهما على الدواب واتجها نحو غور الصافي ، ولما وصلا المخاضة عند لسان البحر الميت زرع راشد وحسين قطعا

---

(١) أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ١٧

من الحديد مدببة في الماء لتصيب خيل ابن قيصوم إذا هو فكر في مطاردتها ، وفعلاً لما علم ابن قيصوم بذلك طاردهما حتى المخاضة ، لكن الخيل لم تستطع العبور إذ أعاقتها قطع الحديد المسننة . واستطاع راشد وحسين وعيالهما ودوابهما من اجتياز البحر الميت إلى فلسطين والنجاة من ابن قيصوم .

ويعتقد خليل أبو ريّا أن « هذه القصة قد تكون سبباً مباشراً للهجرة من شرقي الأردن إلى فلسطين ، إلا أن هناك سبباً آخر وهو أنه لما استولى السلطان سليم العثماني على فلسطين عام ١٥١٧ م استتب الأمن في البلاد نوعاً ما بعكس شرقي الأردن التي كان الأمن فيها مقوضاً ، نظراً لكثرة تعدّيات البدو ، فقد هاجر كثير من سكان قرى شرقي الأردن إلى فلسطين في تلك الفترة ، ولعل هجرة راشد وحسين كانت واحدة منها أي أنهما هاجرا طلباً للأمن »[١] .

ولما اجتاز راشد وحسين البحر الميت إلى شاطئه الغربي لم يكونا ليعرفا أين سيذهبان أو يستقران ، فسارا غرباً في الطريق الصاعدة في الجبال حتى وصلا إلى بلدة حلحول ، المنفذ الطبيعي في جبال الخليل الصاعدة من جنوب البحر الميت ، فضربا خيامهما هناك وأقاما كلاجئين طوال ستة أشهر . ويظهر أن الإقامة في حلحول لم تطب لراشد وحسين فغادراها إلى الشمال إلى بيت لحم وبيت جالا ، وهناك رواية تقول أنه في بيت لحم توفيت زوجة راشد فاتخذ له زوجة من بيت لحم هي أم شقير (جدّ حمولة الشقرة في رام الله) ، ويقولون أن حمولة الشقرة هم (يمن) لأن أمهم من بيت لحم ، وكما هو معروف فإن أهل بيت لحم هم (يمن)[٢] . غير أن راشد وحسين لم يمكثا طويلاً في بيت لحم ، ويبدو أنهما كانا يبحثان عن مكان غير مأهول ليستقرا ويعيشا فيه . ولا يستبعد أن يكونا قد سألا عن ذلك المكان فسمعا عن خربة غير مأهولة تدعى (رام الله) موقوفة على الأرجح لحرم الخليل فقدما إليها . وتجدر الإشارة إلى أن كتاب تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية يشير إلى أن قلاوون أوقف في أواخر القرن الثالث عشر نواتج عدة بلاد من جبل القدس والخليل على الصخرة

(١) أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ١٨
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨

المشرفة وحرم الخليل ، ويقول (Robinson) في مقالة : « أن رام الله والطيبة ملك للحرم أو الجامع الكبير ، وتدفع سنوياً ٣٥٠ مداً من القمح ضريبة » .

وعند قدوم راشد وحسين إلى المنطقة نزل راشد في رام الله ونزل حسين في البيرة التي كانت تسكنها آنذاك بعض العائلات الإسلامية . وكانت خربة رام الله عندما نزلها راشد الحدادين مكتظة بالأشجار الحرجية التي تصلح أخشابها للاستعمال في شتى الأغراض ، خاصة وأن بعض الروايات تقول بأن الحدادين كانت صنعتهم الحدادة فكانت المنطقة ملائمة لهم . ووجد (الحدادين) في الخربة وبالقرب منها عدة ينابيع ماء ، ففي وسط الخربة (في منطقة الحرجة ـ وهي محطة باصات رام الله حالياً) تقع عين البلد ، وبالقرب منها في حي الشقرة كان يوجد نبع (عين البرج) ، وإلى الشمال من الخربة على بعد كيلومتراً واحداً تقع عين مصباح (مازالت قائمة حتى الوقت الحاضر وامتد إليها العمران حتى أصبحت تعرف بحي عين مصباح) ، وإلى الجنوب من الخربة تقع « عين مزراب » ، وبالقرب منها « عين منجد » ، ولا بد أن الحدادين شعروا أيضاً أن مناخ رام الله لا يختلف كثيراً عن مناخ الكرك . ولهذه الأسباب مجتمعة : وجود الأحراج (الغابات) ، وفرة الينابيع ، حسن المناخ ، طاب موقع رام الله للحدادين فاستقروا فيها .

الأحداث السياسية والظروف التي مرت بها رام الله :

إن جميع حمائل أو أسر رام الله الأصلية تنتسب إلى خمسة جدود ، جميعهم أخوة وأبوهم راشد الحدادين ، وقد نمت بعض الحمائل (الحدادة) أكثر من غيرها عدداً ، وشعرت أن حصتها من أراضي البلدة لم تعد تكفيها ، فاتجه كثير من أفرادها إلى التجارة والصناعة كالبناء والحياكة والسكفنة (صناعة الأحذية) . أما أفراد الحمائل الأخرى فظلوا فلاحين يعتمدون على الأرض في معيشتهم . وكان بعض سكان رام الله يعملون في القدس فمنهم من كان يعمل خادماً أو يعمل في البناء . ومن المعروف أن رام الله بلدة مسيحية تجاورها البيرة وعشرات القرى الإسلامية ، والواقع أنه لم يكن الدين عاملاً يخشى منه على معيشة أهل القريتين المتجاورتين رام الله والبيرة ، خاصة إذا علمنا أن جد حمائل البيرة هو حسين صديق حميم لجد حمائل رام الله وهو راشد

الحدادين . غير أنه في القرن التاسع عشر كان أهل القرى في قضاء رام الله بما فيهم قرية رام الله منقسمين إلى قيس ويمن . وكانت البلدة (رام الله) منقسمة إلى حدّ ما إلى قيسية ويمنية . فكانت هناك أربع حمائل قيسية وهذه الحمائل اشترت أراضيها من قرى قيسية مثل البيرة وصردا وأبو قش والمزرعة القبلية ، فاضطرت هذه الحمائل إلى أن تنخرط مع القيسية . أما الحمولة الخامسة في رام الله (حمولة الشقرة) فقد اشترت أراضٍ من قرى يمنيّة مثل بيتونيا ورافات وعين قينيا فاضطرت إلى الانخراط مع اليمنيّة .

وكان مركز القيسية قرية « رأس كركر » ومركز اليمنيّة قرية « أبو غوش » وكان التعصب للقيس واليمن على أشده ، إلا أنهم كانوا يتحدون لمواجهة الخطر الخارجي ، فعندما حاول إبراهيم باشا أن يجنّد الفلاحين في فلسطين عام ١٨٣٤ ثار عليه الفلاحون في نابلس والقدس والخليل وغزة ، ويظهر من الرسائل المتبادلة بين إبراهيم باشا ووالده محمد علي أن القيس واليمن في قضاء رام الله اتحدا لمحاربته ، فتجمعوا في قرية البيرة في أيار ١٨٣٤ بقيادة ناصر المنصور ، كما توجه قسم منهم إلى قرية أبو غوش ليقطعوا الطريق على العساكر المصرية الآتية من يافا إلى القدس . ولكن إبراهيم باشا دخل القدس ، فواقعهم إبراهيم باشا بالقرب من شعفاط وقتل منهم ٥٠٠ نسمة . وبعد هذه الحوادث دخل إبراهيم باشا رام الله . واستقبل أهل رام الله إبراهيم باشا بالترحاب ، وعامل أهلها معاملة حسنة لأن سياسته كانت استرضاء الأقليات خاصة النصارى ، وذلك لكي لا يعطي عذراً للدول الأوروبية للتدخل بحجة حمايتهم[١] .

وفي عام ١٨٤٤ ازدادت حدة الاضطرابات في البلاد وقلّ الأمن ، ففي القدس كثر اللصوص ، وفي رام الله هجم عبد الرحمن أبو غوش على رام الله مرتين محاولاً الاستيلاء عليها وإخضاعها ، ولكنه فشل نظراً لبسالة أهلها ومساعدة القرى القيسية المجاورة لها . وظلت رام الله متأثرة بالأحكام الإقطاعية والعشائرية حتى عام ١٩٠٢

(١) أبو ريّا ، مصدر سابق .

حين أصبحت « قصبة » الناحية أي مركزاً للقرى المجاورو كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى ونادت الحكومة العثمانية بالنفير العام « سفر برلك » أي (التجنيد) ، أخذت تجند الأهالي حتى سن الخامسة والأربعين ، وكان من يرفض التجنيد يدفع بدلاً عسكرياً ، وكثير من أبناء رام الله رفض الخدمة العسكرية ، كما رفض دفع البدل العسكري ، فأخذت الحكومة بواسطة المخاتير تطارد هؤلاء ، فكان كثير منهم يتهرب ، ويذكر لنا خليل أبو ريا أنه شاهد كثيرين من هؤلاء ممن كانوا يختبئون في كروم العنب والتين والزيتون ولا يعود إلى البلدة إلا ليلاً « وكنا نسمي هؤلاء عسكر فرار »[١] . وفي أثناء الحرب أمرت القيادة التركية بترحيل جميع سكان رام الله ، ولكن مدير الناحية استطاع أن يقنع القيادة بعدم ترحيل السكان وبذلك أنقذ البلدة .

وفي ١٢ كانون أول من عام ١٩١٧ دخل البريطانيون رام الله ، ويصف مؤلف كتاب تاريخ رام الله ماحدث من مناوشات بين العثمانيين والإنجليز بعد احتلال رام الله بقوله : « وعلى إثر دخول رام الله في ٢٧ كانون الأول حدثت مناوشات بين الأتراك والإنجليز في رام الله ، إذ كان في رام الله عشّا لمدافع الألمان الرشاشة في قمة جبل عين مصباح ، أوقف تقدم الإنجليز إلى أن قضت المدافع البريطانية على هذا العش وانسحب الأتراك من رام الله » ، ويتابع قائلاً « وجرى اشتباك بين الأتراك والإنجليز في منطقة البالوع شمالي البيرة خسر فيها الإنجليز عدداً من جنودهم ، غير أنهم صمدوا ودحروا الأتراك إلى الشمال »[٢] .

وفي الفترة ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ كانت رام الله كبقية البلاد تحكم حكماً عسكرياً ، وابتداء من تموز ١٩٢٠ أصبح الحكم مدنياً . وطوال فترة الانتداب البريطاني كان الحكام

---

(١) أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ٢٧

(٢) قدورة ، يوسف ، « تاريخ مدينة رام الله ، مطبعة الهدى ، نيويورك ، ١٩٥٤ ، ص ٤٤ ، ٤٥ . (هذا المصدر مشار إليه في كتاب الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ص ٢٣٧) .

الإداريون في رام الله ، إما موظفون عرباً أو موظفون إنجليزاً يساعدهم موظفون عرباً . ولم تكن لهؤلاء الحكام خصوصاً العرب منهم صلاحيات واسعة ، إذ أن طريقة الحكم كانت بأن تبلغ الحكومة المركزية في القدس تعليماتها وأوامرها إلى الحاكم في رام الله وهذا يبلغ التعليمات إلى المخاتير في رام الله والقرى وهؤلاء بدورهم يبلغونها للأهالي أي أن الحاكم الإداري كان عبارة عن وسيط بين الحكومة والأهالي .

وفي الثلاثينات من هذا القرن ونتيجة للسياسة التي اتبعتها بريطانيا في فلسطين وهي جعل البلاد وطناً قومياً لليهود ، نشبت الاضطرابات والثورات التي عمّت أرجاء فلسطين ، ولم يكن أهالي رام الله مترددين أو متقاعسين عن الاشتراك فيها ، ففي إضراب ١٩٣٦ الذي استمر ستة شهور ، وفي الثورة التي تلته وهي أكبر ثورة جرت في فلسطين أثناء الانتداب البريطاني ، كانت رام الله دوماً تجهز الثورة بالرجال والمال والمؤن ، وقد اعتقل كثير من وجهاء رام الله والبيرة ، كما نفي بعضهم لتعاطفهم مع الثورة . وفي تشرين أول عام ١٩٣٨ كان قضاء رام الله شعلة ثائرة على الحكم البريطاني ، فقد هجم الثائرون بقيادة محمد عمر النوباني على رام الله واحتلوا دائرة الوليس البريطاني . وبعد مرور ساعات على هذه المعركة وصلت نجدة من الجيش البريطاني الموجود في القدس وطائرات من صرفند ، وعلى إثر ذلك اشتدت المعركة وقتل مالا يقل عن ٣٠ عربياً ، وأسقط الثائرون طائرة بريطانية بالقرب من بيت عور . وأخيراً اضطر الثائرون أمام القوة البريطانية الكبيرة إلى الانسحاب إلى الوديان ثم إلى قرية عين قينيا[١] .

ولما أعلن الانجليز بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عن عزمهم على مغادرة فلسطين ، وأصدرت هيئة الأمم قرارها بتقسيم البلاد عام ١٩٤٧ عادت الاضطرابات بين العرب واليهود ، وتكونت في رام الله « منظمة الشباب المسلح » بلغ عدد أفرادها ماية وعشرين مسلحاً ، وكان بعض هؤلاء قد تدرب على الخدمة العسكرية في الجيش العربي (الزنار الأحمر) وفي الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية . وتألفت

(١) الدباغ ، مصدر سابق ، ص ٢٣٨

في البلدة كذلك لجنة قومية حاولت أن تقوم بأعمال الحكومة ، وقد تألفت اللجنة من أربعة عشر عضواً سبعة أعضاء من المجلس البلدي وسبعة أعضاء آخرين يمثلون حمائل البلدة . وقد عينت هذه اللجنة قاضياً لحل المشاكل التي قد تنشأ بين الأهالي ، كما فرضت الضرائب على السكان لشراء الأسلحة للمنظمة . وقد دافعت المنظمة عن رام الله دفاعاً مجيداً وابتنت قلاعاً صغيرة في الجهة الغربية والجنوبية من البلدة ، وأقامت فيها حراساً مسلحين ليلاً ونهاراً . وحدث في آذار ١٩٤٨ أن هجم حوالي عشرين يهودياً مسلحاً على رام الله من الجهة الجنوبية ، جاؤوا من مستعمرة عطاروت قرب قلنديا ، فتصدت لهم المنظمة في موقع « الماصيون » وقتلت منهم سبعة عشر وفر الباقون ، ولم تقع أي خسائر بين أفراد المنظمة[١] .

وكان كثير من شباب رام الله يعملون في القدس ، فكان اليهود المتركزين في مستعمرة النبي يعقوب على طريق رام الله ـ القدس يتعرضون لسيارات الركاب من وإلى رام الله ، وحدث مراراً أن أطلق اليهود النار على السيارات ليقتلوا الركاب ، فتصدت المنظمة ليهود النبي يعقوب بأن صفحت محلّياً بالصاج سيارة عادية ثبتت عليها مدفعاً رشاشاً « برن » ، وصارت ترافق السيارات الذاهبة إلى القدس من رام الله وتحرسها .

ولم تكتف المنظمة بالدفاع عن رام الله فحسب ، بل اشتركت أيضاً مرات عديدة مع جماعة « الجهاد المقدس » في معارك باب الواد وبيت سوريك والقسطل . ولما جاء جيش الإنقاذ العربي إلى البلاد خصص لقطاع رام الله فوج اليرموك ليعمل فيه ، ولكن هذا الفوج مالبث أن انتقل إلى القدس ليحل محله فوج القادسية .

ولما حل ١٥ أيار ١٩٤٨ وهو الموعد الرسمي لجلاء الإنجليز عن البلاد ، كان الجيش الأردني هو صاحب السلطة الفعلية في هذا الجزء من البلاد ، ولم يعد لجيش الإنقاذ أي مبرر للبقاء ، فانسحب من رام الله في ٢٠ أيار ١٩٤٨ ، وأصبحت البلدة تحت الحكم الأردني فيما بعد . وفي أواخر أيار ١٩٤٨ أغارت ليلاً على رام الله بضع

---

(١) أبو ريّا ، مصدر سابق . ص ٢٩

طـائرات يـهوديـة وألقت عليهـا بعض القنـابـل ، وقـد قتـل من جراء الغـارة بعض اللاجئين الذين كانوا يقطنون غربي البلـدة في شـارع بـاطن الهواء . وفي ١٢ تموز حين احتل اليهود مـدينتي اللـد والرملـة ، فقـد أخرج اليهود أهلهـا منهـا قسراً ، وجـاءت رام الله في الأيام التالية جماهير غفيرة من هـاتين المـدينتين ، والقرى التي حولهما وأخـذ اللاجئون إلى رام الله يحطون رحالهم في البلدة فبعضهم سكن في البيوت التي تيسرت ، وبعضهم نصب الخيـام في الحقول وبعضهم في المغـاور وكثيرون أقـاموا في العراء . وقـد نقل الجيش الأردني قسماً كبيراً من اللاجئين إلى مدينة أريحا وغيرها من الأماكن .

وفي النصف الأول من الستينـات أصبحت رام الله لـواء يحكمهـا متصرف بعـد أن كانت قضاء يحكمها قائمقام .

وفي حزيران عام ١٩٦٧ احتل الإسرائيليون بقيـة فلسطين ، وكان أول مـا عملوه أن اتخذوا القدس عاصمة لهم وفصلوها إدارياً عن بقية الضفـة الغربيـة ، وتبعـاً لـذلـك ازدادت أهمية رام الله إذ نقل إليها كثير من المكاتب والدوائر الحكومية التي كان مقرهـا القـدس . وفي الأيـام الأولى من احتـلال اليهـود لرام الله أنـذروا الأهـالي بتسليم جميـع مالديهم من أسلحة على اختلاف أنواعها وأن يضعوها في ساحة المنارة ، وهددوا بنسف أي منزل يعثرون فيه على أي نوع من الأسلحة . كذلـك أخـذ اليهود بعـدهـا يبحثون عن الذين يعملون مع المنظمات الفلسطينيـة ، فـاعتقلوا عـدداً منهم كما أبعـدوا خـارج البلاد من اتهموهم بالتعاطف مع منظمة التحرير الفلسطينية .

شخصيات من رام الله والبيرة :

١ ـ الدكتور فؤاد شطارة :

اشتهر في الجراحة ، وكان رئيساً للجمعيـة العربيـة وهي مؤسسـة سيـاسيـة تضم الوطنيين العرب في نيويورك ، كما كان رحمه الله سكرتيراً للجمعية الفلسطينية لمقاومة الصهيونية في نيويورك . وبعثت هذه الجمعية عن طريق سكرتيرها الـدكتور شطـارة رسالة إلى بلفور « باسم : سوريي فلسطين » للإدلاء برأيهم أمـام الـدول حول أمر يعني الحياة أو الموت لوجودهم القومي . وتعرض الرسالة حججها بـأسلوب معتـدل هـادئ ،

وتعلن بتحفظ أنها متمسكة بالحس البريطاني بالعدالة الذي لا يمكن أن يرضى بأن يوافق على خطة تمكن لفئة غريبة بنزع أرضنا من أيدينا حيث تسودنا في النهاية وتعرض علينا نظام حكمهم الغريب » . ثم فندت الرسالة الدعوة الصهيونية ومما قالت : « إن اقتراح فلسطين كوطن قومي ليس حلاً للمشكلة اليهودية » . (وضعت الجمعية الفلسطينية لمقاومة الصهيونية في عام ١٩١٩ كتاباً لخصت أفكارها في مقاومة الصهيونية بعنوان « فلسطين وتجديد حياتها ») .

٢ ـ الدكتور خليل طوطح :

من رجال التربية والتعليم في فلسطين . تسلم إدارة مدرسة الفرندز للبنين من ١٩٣٣ ـ ١٩٤٤ ، ومن مؤلفاته :

١ ـ ماقدمته للعرب في علم التربية والتعليم ، بالانجليزية .
٢ ـ تاريخ فلسطين : بالاشتراك مع عمر الصالح البرغوثي .
٣ ـ جغرافية فلسطين بالاشتراك مع حبيب الخوري .

٣ ـ مغنّم الياس مغنّم :

تخرج من معهد بروكلين للمحاماة عام ١٩٢٠ . افتتح مكتباً في القدس وترأس نقابة المحامين العرب فيها عدة دورات . كان من الساسة العرب البارزين .

٤ ـ حنا صلاح :

درس الهندسة في أمريكا . عيّن مهندساً لبلدية يافا . أشرف على إخراج كتاب « فلسطين وتجديد حياتها » .

٥ ـ فرحات يعقوب زيادة :

أستاذ اللغة العربية في جامعة برنستون وله مؤلفات أهمها :

١ ـ الناطقون بالضاد في أمريكا بالاشتراك مع حبيب كاتبة ، ترجمه إلى العربية « البدوي الملثم » .

٢ ـ تاريخ الشعب الأمريكي .

٣ ـ ترجم كتاب « فلسفة التشريع في الإسلام » للدكتور صبحي المحمصاني إلى الإنجليزية .

٦ ـ بولس شحادة :

صاحب جريدة مرآة الشرق ، أصدرها في القدس عام ١٩١٩ وظلت تصدر حتى عام ١٩٤٠ عندما احتجبت بسبب وفاة صاحبها[1] .

٧ ـ خليل أبو ريّا :

رجل علم وأدب ، خدم بلدة رام الله كثيراً حيث أسس مدرسة حملت اسمه ومن بعدها أسس مكتبة رام الله ظل مشرفاً عليها حتى توفاه الله في أواخر عام (١٩٨٠) وقد ألف كتاب « رام الله قديماً وحديثاً » فأفاد به كثيراً وبخاصة المغتربين .

٨ ـ كريم خلف :

عمل رئيساً لبلدية رام الله بعد رئاسة خليل الموسى ، وظل كريم خلف يقارع الاحتلال حيث كان أحد أعضاء لجنة التوجيه الوطني ، وقد كان أحد رؤساء البلديات الثلاث (نابلس ، رام الله ، البيرة) الذين تعرضوا لحوادث تفجير سياراتهم وبالفعل أصيب في تلك العملية في رجليه ولم يثنه ذلك عن مواصلة العمل إلاّ أن السلطات فرضت عليه الإقامة الجبرية في أريحا إلى أن توفي عام (١٩٨٥) .

٩ ـ عبد الله الريماوي (١٩٢٠ ـ ١٩٨٠) :

مناضل ومفكر وسياسي ولد في بلدة بيت ريما قضاء رام الله ، تلقى دراسته الابتدائية في المدرسة الرشيدية والثانوية في الكلية العربية في القدس ، ثم تابع دراسته في الجامعة الأمريكية في بيروت ، وحاز الإجازة في العلوم سنة ١٩٤٠ ، كما درس القانون في جامعة لندن وحاز على الإجازة فيه ، وحصل على الدبلوم في القانون من

---

(١) ماسبق أخذ من الدباغ ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣

كلية القدس ، وشهادة دبلوم القانون العام سنة ١٩٦٣ والقانون الإداري سنة ١٩٦٥ من جامعة القاهرة .

عين مدرساً في المدرسة الصلاحية في نابلس ثم في عدد من المدارس الثانوية ، وبعد إعلان التقسيم عمل مديراً للتوجيه الوطني في الهيئة العربية العليا . ثم انضم إلى فصائل الشهيد عبد القادر الحسيني ، وفي أواخر ١٩٤٨ تولى رئاسة تحرير صحيفة فلسطين اليومية ، ثم أصدر بالاشتراك مع عبد الله نعواس جريدة البعث . فاز في الانتخابات النيابية عن منطقة رام الله عام ١٩٥٠ وهو في المعتقل ، ثم انتخب نائباً عدة دورات متتالية . قاوم الأحلاف العسكرية والمشاريع الاستعمارية . ثم أصبح وزيراً عام ١٩٥٦ وبعد حلّ الوزارة أصبح لاجئاً سياسياً في دمشق ثم في القاهرة . عاد عام ١٩٧٠ إلى عمان ومارس مهنة المحاماة وانتخب أميناً عاماً لاتحاد المحامين العرب ، ثم اختير عضواً في المجلس الاستشاري وتوفي في ١٩٨٠/٣/٥ .

ترك عدة مؤلفات منها الحركة العربية الحديثة ، الحركة العربية الواحدة ، البيان القومي ، الإقليمية الجديدة ، موسوعة الوعي العقائدي . ومنها النظرية الثورية المعاصرة ، الاشتراكية الديموقراطية ، القضية العربية المعاصرة ، استرداد أجزاء الوطن السليب . وترجم مجموعة من البحوث تحت عنوان القضايا الكبرى في القانون الدولي المعاصر صدرت بعد وفاته .

١٠ ـ عبد الله حنا نعواس (١٩١٧ ـ ١٩٥٨) :

محامي فلسطيني ولد في بلدة الطيبة قضاء رام الله وتلقى فيها تعليمه الابتدائي ثم انتقل إلى مدرسة (تراسنطة) في القدس وحصل فيها على شهادة (المتريك) ثم تخرج من معهد الحقوق عام ١٩٤٨ .

عمل معلماً ثم محامياً في القدس كما عمل في الصحافة ، وأصدر مع زميله عبد الله الريماوي جريدة البعث . انتخب عام ١٩٥٠ عضواً في مجلس النواب عن مدينة القدس وهو في المعتقل وبقي نائباً حتى عام ١٩٥٧ حيث انتقل لاجئاً سياسياً إلى دمشق وتوفي في ١٩٥٨/٩/١٧ .

١١ ـ خليل محمد عيسى توفي عام ١٩٧٠ :

أحد قادة الثورة الفلسطينية الكبرى ، ولد في قرية المزرعة الشرقية قضاء رام‌الله ثم انتقل إلى حيفا وانضم إلى حلقة الشهيد عز الدين القسام وشاركه في جهاده التنظيمي والتنفيذي ، وأصبح من القادة وقد ألح على الشيخ القسام بتدريب أفراد التنظيم وتسليحهم . اعتقل عام ١٩٣١ بتهمة تفجير قنبلة في مستعمرة نهلال الصهيونية ، وبقي معتقلاً حتى عام ١٩٣٥ ، تولى بعد استشهاد القسام قيادة المنطقة الشمالية . التقى عام ١٩٣٧ بالمفتي محمد أمين الحسيني وأشار عليه بضرورة استمرار الثورة . غادر فلسطين عام ١٩٣٩ بعد توقف الثورة إلى دمشق ثم إلى بغداد واشترك في ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١ ثم غادر بغداد بعد فشل الثورة . عاد إلى فلسطين بعد انتهاء الحرب الثانية واشترك في القتال وبعد النكبة هاجر إلى عمان حيث أمضى بقية حياته .

معالم البيرة التاريخية والأثرية[١] :

توجد في البيرة بعض الآثار العربية اليبوسية ، ومن أهم هذه الآثار الكهوف التي كان ينزل إليها من علٍ بدرج ، وفيها شبه محاريب ، كلها منحوت بدقة ، وقد وجدت فيها عظام بشرية ، كما وجدت فيها أسرجة وأدوات أخرى ، ويوجد ثلاثة أو أربعة آثار ماتزال بارزة للعيان على جانب الطريق الممتد من الشرق إلى الغرب . وهناك آبار كثيرة تعود إلى اليبوسين والحويين منتشرة في جميع أنحاء البيرة ، خاصة عند رأس الطاحونة ، وفي حديقة بلدية البيرة الحالية . كذلك توجد بعض المعاصر (معاصر الخمر) في البيرة والتي كان العبرانيون يعصرون فيها العنب ليصنعوا منه خمراً ، حيث كانت المنطقة غنية بأشجار الكرمة .

أما الآشوريون والكلدانيون واليونان والفرس الذين احتلوا المدينة مدداً مختلفة من الزمن ، فإنهم لم يخلفوا آثاراً بارزة ذات قيمة أثرية ، رغم أنه قد عثر في البيرة على قطع من النقود تعود إلى العهد الروماني . أما الرومان فقد خلّفوا في المدينة آثاراً

---

(١) المعلومات مأخوذة من حمّاد ، مصدر سابق ، ص ١٦ . الدباغ ، مصدر سابق ، ص ٢٦٣

ماتزال باقية ، وهي عبارة عن ثلاث برك ماء أولها تقع على مقربة من نبع الماء في المدينة . والثانية تقع إلى الجنوب من البركة الأولى والتي ماتزال تعرف باسم بركة الخشاب . ثم بركة ثالثة إلى الجنوب من الثانية . والأرض التي كانت تسقيها هذه البرك تعرف باسم أرض الجنان مما يدل على كثرة جنانها وأشجارها وثمارها .

وفي العهد الإسلامي دخلت البيرة في حوزة المسلمين . وقد ترك لنا هؤلاء الفاتحون آثاراً باقية تدل على تعلقهم الديني وحبهم للاستشهاد (جامع أو قبر لولي) ولعل أبرز الآثار الإسلامية ذلك الذي يقوم فوق نبع الماء والذي يؤلف في وقتنا الحاضر جزءاً من الجامع القديم الكبير . وإلى الجنوب من المدينة يقع بناء قديم جداً هو مقام الشيخ نجم ، كما أنه يقع إلى الشرق منها مقام آخر هو مقام الشيخ شيبان ، كما يوجد إلى الشمال منها مقام آخر للشيخ يوسف . وكذلك مقامات للشيخ مجاهد والشيخ عبد الله . وقد وجدت في المدينة قطع نقدية تعود إلى عصر بني أمية وبني العباس .

في عام ١٠٩٩ (كما سبقت الإشارة) سقطت البيرة في أيدي الغزاة الصليبيين قبيل احتلالهم لمدينة القدس فأقاموا فيها ردحاً من الزمن ، ولا شك أنها كانت ذات مركز ممتاز لهم إذ تدل الآثار التي خلفوها على ذلك . فقد تركوا كنيسة عظيمة ماتزال أساساتها قائمة وثابتة في وسط المدينة ، كما تركوا بها بناء آخر كان يأوي إليه فرسان القديس يوحنا ، وكذلك الخان المبني على الطراز الروماني .

ومن أبرز الآثار الموجودة في البيرة تل النصبة الذي يقع على بعد أقل من ميلين إلى الجنوب من البيرة وثمانية أميال إلى الشمال من القدس . وذهب بعضهم إلى القول بأن بلدة « مصفاة » بمعنى برج النواطير الكنعانية كانت تقوم على هذا التل . وقد أجريت حفريات في تل النصبة ووجدت آثار ترجع إلى الأزمنة الواقعة بين عام ٣٠٠٠ ق . م وعام ٣٠٠ ق . م . وكان عصر تل الذهبة الذهبي الذي بلغت فيه أقصى نجاح لها هو في العصر البرونزي الوسيط . وفي هذا العصر كان يحيط بها سور سمكه ١٣ ـ ٢٣ قدماً ، وقد بني من الحجارة الكلسية وأقيمت فيه الأبراج ، وكان أحصنها مابني عند المداخل ، وقد حفر خندق حول السور . واستمر عمرانها حتى خرّبها اليهود

بقيادة يشوع وذلك في القرن الثاني عشر قبل الميلاد . وقد كشف في البرج الشمالي عن معبد عشتاروت الكنعاني الذي كان يدعمه عمودان ، ووجد في الباب حجر كان يجلس عليه الحاجب . أما مجالس الكهنة والكاهنات ففي الزاوية الجنوبية الغربية ، ويعتبر هذا المعبد الكنعاني نادر المثال[1] . ومن المواد التي اكتشفت في تل الذهبة عام ١٩٣٢ م (١٣) جعلا تحمل رسم تحتمس الثالث الذي قام بتجهيز عدة حملات على سوريا وفلسطين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وفي الوقائع الفلسطينية (١٥٠٥) أن هذا التل يحتوي على تل أنقاض فيه بقايا سور مدينة وبوابة وفي الجوار مدافن محفورة في الصخر .

معالم رام الله التاريخية والأثرية :[2]

إن رام الله الأصلية التي سكنها راشد الحدادين هي قرية صغيرة المساحة تكاد تكون متركزة حول مقام إبراهيم الخليل ، وهذه القرية لا تحوي من الآثار إلا القليل . ومن أهم الآثار الباقية في رام الله ما يلي :

أولاً : هناك البناء المعروف بالبرج في حي الشقرة والذي هدم مؤخراً لتداعي بنائه . ولا يعرف إلى أي عهد يعود بناء هذا البرج ، ويذكر أبو ريّا أن الدكتور كلارنس فشر أحد علماء الآثار الأمريكيين قد حدثه منذ حوالي ٥٠ سنة أن هذا البرج بناء بيزنطي . وهذا البرج كان بمثابة قلعة أو حصن للقرية إذ كان مبنياً على أعلى نقطة فيها ، ومنه يستطيع المراقب كشف الأعداء وهم يقتربون من القرية ، ويحذر المزارعين وهم في حقولهم على سفوح المرتفعات حتى يتمكنوا من اللجوء إلى بيوتهم في القرية والاحتماء في الوقت المناسب . كما يذكر أبو ريّا أن أحد الأشخاص قام ببناء بيت في الموقع ذاته وفوق قناة مقصورة ، تأتي من مكان يظهر بوضوح أنه كان نبعاً قوياً ، والقناة مسقوفة بحجارة مستوية . ويقال أن عين البرج هذه هي التي تغذي عين البلد الموجودة في الحرجة بمياهها . وفي عام ١٩٢١ / ١٩٢٢ قرر مجلس بلدية رام الله إظهار النبع إلى الوجود ، وفعلاً جرت بعض الحفريات وظهر بعض الماء .

---

(١) نقل الدباغ هذه المعلومات من : حولية دائرة الآثار الأردنية ، المجلد (٦ ، ٧) ، عمان ، ١٩٦٢ ، ص ١٠

(٢) المعلومات مأخوذة من أبو ريّا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦ ـ ١٠ . الدباغ ، مصدر سابق ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥

ثانياً : الأثر الثاني الموجود في رام الله هو بناء ظلّ قائماً حتى ١٩٥٧ ، ويسمى « الخليل » والخليل عبارة عن غرفة واحدة تكاد تكون مربعة طولها ستة أو سبعة أمتار وعرضها كذلك ، وارتفاعها حوالي أربعة أمتار . والباب عرضه حوالي المتر وارتفاعه أقل من مترين ، وهو المنفذ الوحيد للبناء إذ لاتوجد فيه أية نافذة . وجدران الغرفة مقصورة وأرضيتها من الفسيفساء ، ولكنها مغطاة بطبقة ترابية .

وبالقرب من الخليل وإلى الشرق منه وتحت سطح الأرض توجد معصرة للزيتون تسمى « البّد » ، ويبدو أن أهل رام الله من الحدادين الأوائل استعملوها في دهس زيتونهم .

ثالثاً : وفي الطيرة غرب رام الله بمسافة كيلو متر واحد عثر عام ٤١٥ في كفر غملا (الطيرة) على رفات القديس استفانوس أول الشهداء . وفي أرض الطيرة كثير من الفسيفساء ، كما أن فيها أثر لكنيسة ، وقسم من أرض الطيرة محاط بسور مبني حديثاً . وتوجد بالقرب من الكنيسة بقايا معصرة زيتون وهي آثار صليبية .

وإلى الشمال الغربي من الطيرة توجد في خربة العدس بعض القبور التي تعود إلى العصر الحديدي أي حوالي ١٢٠٠ ق . م . وفي عام ١٩٢٧ عثر في المغائر قرب عين مصباح على تابوت رصاصي يعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، وعليه نقوش وثنية وأخرى مسيحية .

وفي عام ١٩٧٠ جرت حفريات قامت بها جامعة ميسوري الأمريكية على قمة جبل عين مصباح فعثروا على أربع غرف صغيرة لاتزال قائمة حتى اليوم . وعثر فيها على قطع من الفخار وعلى ختم حجري يعود تاريخه إلى حوالي ١٢٠٠ ق . م .

الفصل الثاني

سكان رام الله والبيرة

نمو السكان في رام الله والبيرة :

لاتتوفر لدينا أية معلومات إحصائية عن سكان رام الله والبيرة قبل القرن السابع عشر ، وكل ماذكر هو إشارة إلى أن البيرة كانت مأهولة بالسكان أيام الكنعانيين ثم في فترة الحكم الروماني من بعدها . وتذكر بعض المصادر أن رام الله كانت مستعمرة زراعية فرنسية كما سبق وأشرنا . كذلك أوضحنا في الحديث عن تاريخ رام الله والبيرة أن البيرة أقدم وأنها كانت مأهولة عندما وفد إليها حسين وراشد بعد فرارهما من الكرك .

ورد أول ذكر للسكان في مدينة رام الله والبيرة في مخطوط كمال عبد الفتاح عن الجغرافية التاريخية لفلسطين في القرن السادس عشر[١] ، عندما ذكر بأن عدد السكان في رام الله والبيرة قدّر بـ ٦٩٠ نسمة وأن عدد الأسر فيها (١٢٥) أسرة . ويذكر لنا خليل أبو ريا[٢] أن عدد سكان رام الله قدّر بـ (١٥٠) أسرة أو ما يتراوح بين ٧٠٠ - ٨٠٠ نسمة ، وهذا يطابق إلى حدّ كبير ماذكره Edward Robinson[٣] الذي زار البلدة عام ١٨٣٨ من أن عدد سكانها يتراوح بيم ٨٠٠ - ٩٠٠ نسمة . ويذكر الدباغ نقلاً

---

(١) Abdulfatah Kanal, Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the late 16th Century, Erlangen, 1977.

(٢) أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ٢٥

(٣) Robinson, E. and Smith E. , Biblical Researches in Palestine and in the Adjacent Regions, Jpurnal of Travels in the year 1838 VI.

(هذا المرجع مذكور في كتاب أبو ريّا ، مصدر سابق) .

عن قدّورة[1] أن عدد سكان رام الله وحدها قدّر بـ (٢٠٠٠) نسمة في عام ١٨٧٠ ، كما يذكر نقلاً عن بدكر Bedcker[2] فقد أعطى تقديراً لسكان رام لله بـ (٥٠٠٠) نسمة ، كما قدّر عدد سكان البيرة بـ (١٠٠٠) نسمة في عام ١٩١٢



إن معظم هذه التقديرات للسكان في رام الله والبيرة اعتمد إما على كشوف الضرائب التي كان يدفعها السكان للحكومة العثمانية (مثل تقدير عبد الفتاح) ، وإما على تخمين الرحالة الذين زاروا المنطقة . ويبدو أنه بالنسبة لرام الله وحدها فقد لعبت البعثات التبشيرية دورها في جذب السكان المسيحيين إلى البلدة ، كما كان للهجرات الأولى إلى المدينة أثر في زيادة عدد سكانها ، وسنتحدث عن ذلك عند الحديث عن تأثير الهجرة على رام الله والبيرة . ولم يعط محمد حماد مؤلف كتاب مدينة البيرة : مصيف الأردن الجميل أي تقديرات للسكان طوال تاريخ المدينة الطويل .

ويبين لنا الجدول رقم (١) نمو عدد السكان في رام الله والبيرة منذ أواخر القرن السادس عشر وحتى الوقت الحاضر . ويتضح من الجدول أن هناك تزايداً في عدد

---

(١) قدورة ، يوسف ، تاريخ مدينة رام الله . مطبعة الهدى ، نيويورك ، ١٦٥٤ ، ص ٩
(هذا المصدر مذكور في كتاب الدباغ ، مصدر سابق) .

(٢) Baedeker, K. Palestine and Syria. Leipzig, 1912, p. 216
(هذا المصدر موجود في كتاب الدباغ ، مصدر سابق) .

السكان في رام الله والبيرة ، رغم أن أحد التقديرات يتصف بالمبالغة (تقدير Baedeker) الذي قدّر عدد سكان رام الله بـ (٥٠٠٠) نسمة والبيرة بـ (١٠٠٠) نسمة ، وربما كان الرقم بالنسبة للبيرة معقولاً ، إلا أنه مبالغ فيه بالنسبة لرام الله ، ومرد ذلك أن عدد السكان في رام الله والبيرة بلغ حسب إحصاء ١٩٢٢ (٤٥٨٣) نسمة (١٤٧٩ للبيرة و ١٣٠٤ لرام الله) . وربما كان بدكر قد أعطى تقدير (٥٠٠٠) نسمة لكل من رام الله والبيرة . ونعتقد أن الهجرة التي نشطت بعد الحرب العالمية الأولى

الجدول رقم - ١ - تطور عدد سكان رام الله والبيرة من القرن السادس عشر وحتى ١٩٨٥ م

الفترة الزمنية السنة	عدد السكان			المصدر[☆]
	البيرة	رام الله	المجموع	
أواخر القرن ١٦	٢٥٠	٤٤٠	٦٩٠	كمال عبد الفتاح، ١٩٧٧ م
١٨٣٨	(☆☆) —	٨٠٠ـ٩٠٠	—	Edward Robinson
١٨٧٠	—	٢٠٠٠	—	قدّورة
١٩١٢	١٠٠٠	٥٠٠٠	٦٠٠٠	Baedeker
١٩٢٢	١٤٧٩	٣١٠٤	٤٥٨٣	إحصاء ١٩٢٢
١٩٣١	٢٢٩٢	٤٢٨٦	٦٥٧٨	إحصاء ١٩٣١
١٩٤٥	٢٦٤٠	٥٠٨٠	٧٧٢٠	الدباغ
١٩٥٢	٩٠٨٠	١٧١٤٥	٢٦٢٢٥	تعداد ١٩٥٢
١٩٦١	١٤٥١٠	١٤٧٥٩	٢٩٢٦٩	تعداد ١٩٦١
١٩٦٧ (قبل الحرب)	١٦٢٥١	١٦٥٣٠	٣٢٧٨١	وزارة الأرض المحتلة
١٩٦٧ (بعد الحرب)	١٢٦٧٦	١٢٤٩٥	٢٥١٧١	تعداد ١٩٦٧ (سلطات الاحتلال)
١٩٨٢	١٨١٧٤	١٧٩١٥	٣٦٠٨٩	وزارة الأرض المحتلة
١٩٨٥	٢٣٥٠٠	٢٢٠٠٠	٤٥٥٠٠	راسم خمايسة، ١٩٨٥

(☆) هناك ثبت بهذه المصادر في نهاية الدراسة .

(☆☆) غير معروف عدد السكان .

كانت سبباً في تناقص عدد سكان رام الله والبيرة ، ولكن ليس بقدر الفارق بين تقدير عام ١٩١٢ وإحصاء السكان عام ١٩٢٢

في عام ١٩٣١ بلغ عدد السكان في رام الله والبيرة ٦٥٧٨ نسمة أي بزيادة مقدارها ٤٣,٥ ٪ عن عدد السكان في عام ١٩٢٢ . وفي عام ١٩٤٥ قدّر عدد السكان بـ (٧٧٢٠) نسمة أي بزيادة مقدارها ١٧,٤ ٪ عن عدد السكان في عام ١٩٣١ . وارتفع عدد السكان في رام الله والبيرة في عام ١٩٥٢ إلى (٢٦٢٢٥) نسمة أي بزيادة قدرها ٢٣٩,٧ ٪ عن عدد السكان في عام ١٩٤٥ ، ويعزى ذلك بشكل رئيسي إلى الهجرة القسرية للسكان في فلسطين عام ١٩٤٨ وخاصة من مدينتي اللد والرملة حيث تدفق اللاجئون على المدينة بأعداد هائلة ، إلا أن عدداً منهم انتقل إلى أماكن أخرى بعد ١٩٥٢ ، وبذلك بلغ عدد السكان في رام الله والبيرة (٢٩٢٦٩) نسمة في تعداد ١٩٦١ أي بزيادة قدرها ١١,٦٪ للفترة ١٩٥٢ ـ ١٩٦١ . وفي عام ١٩٦٧ بلغ عدد السكان في رام الله والبيرة (٣٢٧٨١) نسمة قبل حرب حزيران ، وبلغ عدد السكان (٢٥١٧١) نسمة بعد حرب حزيران أي بنقص مقداره (٧٦١٠) نسمة أو ما يعادل ٣٠,٢٪ من عدد السكان قبل حرب ١٩٦٧ . ويعزى ذلك إلى التهجير القسري الثاني لسكان فلسطين إثر أحداث ١٩٦٧ . وقدّرت وزارة شؤون الأرض المحتلة الأردنية عدد السكان في رام الله والبيرة في نهاية عام ١٩٨٢ بنحو (٣٦٠٨٩) نسمة أي بزيادة مقدارها (١٠٩١٨) نسمة أو ما يعادل ٤٣,٤٪ من عدد السكان في عام ١٩٦٧ بعد حرب حزيران .ويضاف إلى هذا العدد (٤٤٧٩) نسمة من اللاجئين الذين يقطنون مخيم الأمعري أحد المخيمات التي أنشئت إثر نكبة ١٩٤٨ ضمن حدود رام الله والبيرة . وقد قدّر خمايسة عدد السكان في المدينتين بـ (٤٥٥٠٠) نسمة في عام ١٩٨٥ .

لقد لعبت الزيادة الطبيعية (المواليد والوفيات) والهجرة دوراً مهماً في النمو السكاني لرام الله والبيرة . وازدادت أهمية ذلك الدور أثناء الهجرات القسرية التي تعرضت لها فلسطين في عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ . وللأسف لاتوجد بيانات تفصيلية دقيقة عن المواليد والوفيات وحتى عن الهجرة إلاّ بعض التقديرات . وما ورد في تعداد ١٩٦١ فقط عن المواليد . ونستطيع القول بشكل عام أن الزيادة الطبيعية مرتفعة

لـدى السكان الفلسطينيين ، وأن تـزايـد السكان الفلسطينيين في فلسطين كان بسبب هذه الزيادة الطبيعية المرتفعـة . ورغم أنـه حـدثت هجرة من فلسطين إلى الخـارج في مطلـع القرن الحـالي ، إلا أن نسبتهـا كانت ضئيلـة إذا مـاقـورنت بـالتهجير القسري للفلسطينيين في عـامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ ، ومـع أن سلطـات الاحتـلال حـاولت بشتى الوسـائـل تهجير السكان واقتـلاعهم من أرضهم إلا أن الـزيـادة بقيت تعـوض إلى حـدّ ماالنقص الذي حدث بسبب التهجير القسري .

الزيادة الطبيعية :

لقـد بيّن تعـداد ١٩٦١ م أن أدنى معـدلات الخصوبـة في المـدن الأردنيـة هي في رام الله والبيرة . وكان ذلـك المعـدل أدنى بكثير من المعـدل القومي للخصـوبـة . فقـد أظهر التعداد أن معدل التنـاسل الإجمـالي للأردن هو ٣,٤ بينمـا لرام الله والبيرة ٢,٧ ، كذلك أظهر التعداد أن نسبة الإخصاب ونسبـة الأطفـال دون الخـامسـة إلى الأمهـات ١٥ ـ ٤٩ للأردن ٨١٥ بينمـا هي لرام الله والبيرة ٦٩٩ . والواقـع أن هـذا الانخفـاض في الزيادة الطبيعية مردّه أمران رئيسيان :

الأول : أن رام الله والبيرة شهدتا هجرة خارجة منها إلى الأمريكيتين وخاصـة من الـذكـور وبـالتـالي انخفضت معـدلات الإنجـاب ممـا أدى إلى انخفـاض الـزيـادة الطبيعية ، خاصة وأن هناك كثيراً من الأزواج هاجروا وتركوا زوجاتهم في المدينـة ، ممـا يترتب عليـه تـوقف عمليـة الإنجـاب لفترة طـويلـة ولحين عـودة الأزواج من الاغتراب .

الثـاني : من المعروف أن سكان رام الله الأصليـون هم من المسيحيين ، كما هـو معلوم أيضـاً أن معـدلات الخصوبـة عنـد المسيحيين هي أقل بكثير من مثيـلاتهـا عنـد المسلمين ، وبالتالي أثّر ذلك على معدلات الزيادة الطبيعية .

الهجرة :

تؤكـد الروايـات والآراء المختلفـة على أن سكان رام الله الأصليين ينتسبـون إلى الشيخ راشد الحدادين الذي استقر هو وأبناؤه ، في خربة لم تكن مأهولـة بـالسكان من

قبل اسمها رام الله . كذلك تؤكد تلك الروايات أن سكان البيرة الأصليين يعودون بنسبهم إلى آل حسين ، رغم أن البيرة (عندما قدم إليها حسين الذي رافق راشد في هجرته من الكرك) كانت مأهولة بالسكان وتقطنها عشيرة « الغزاونة » ، إلا أن هذه العشيرة الأخيرة قد اضطرت إلى ترك البيرة والانتقال إلى قرية الجيب (جنوب البيرة) ، إثر المنازعات التي حدثت بين عشائر البيرة ، وبقي منها آل حسين . وفي رام الله خلّف راشد الحدادين خمسة أبناء تفرعت منهم حمائل أو عشائر البلدة . وكان أكثر تلك الفروع نمّوا من حيث العدد ، حمولة الحدادة الذين زاد عددهم أكثر من الحمائل الخرى ، بحيث أن عددهم كان يساوي عدد أفراد الحمائل الأخرى مجتمعة[1] .

ويعتبر عام ١٦٧١ م هو أقدم تاريخ يذكر فيه (الحدادين) في رام الله . وقد كان للبعثات التبشيرية دور مهم في انتقال السكان إلى رام الله خاصة أهل الدين ، وكان أهل رام الله الحدادين ينتمون إلى الروم الأرثوذكس ومقرهم القدس . وظلت رام الله قرية مسيحية أرثوذكسية حتى منتصف القرن التاسع عشر حيث وفد إلى البلدة مبشرون من عدّة طوائف ، وكانت أولى تلك الطوائف البروتستنت حيث جاء إلى فلسطين عام ١٨٤٦ م صموئيل جوبات الذي أصبح يعمل في التبشير ، وامتد عمله إلى رام الله وافتتح مدرسة فيها . وفي عام ١٩٦٣ م جاء إلى رام الله القس (F.A. klein) ، وأخذ يبشر فيها ويعقد اجتماعات مع أهل البلدة . وفي عام ١٨٧٧ م أصبحت رام الله مركزاً كاملاً للطائفة الإنجيلية الأسقفية العربية (البروتستانت) . كذلك وفدت إلى البلدة طوائف من اللاتين والفرندز والروم الكاثوليك والمعمدانيين واللوثريين[2] المهاجرين إلى رام الله .

إن أول من هاجر إلى رام الله هو بالطبع راشد بن صقر الحدادين وأولاده ، وقد رأينا كيف أن هجرتهم كانت بسبب اضطهاد اجتماعي من قبل بني قصوم ، وجاءوا إلى موقع البلدة في القرن السادس عشر ، وكانت (كما سبقت الإشارة) خربة مهجورة فعمروها وسكنوها ومنهم تناسلت حمائل البلدة . وانقضت فترة تقدر بمائتي

(١) أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ٢١ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٢٥ .

سنـة وهم يعيشون في مجتمع قبلي صرف . وبمرور الزمن تكاثر أهل رام الله ، وأصبحت البلـدة ملجـأ لكل مسيحي مضطهـد في فلسطين وشرقي الأردن ، وكـذلـك مركـزاً للبعثات التبشيرية فيما بعد .

وفي أواخر القرن الثامن عشر (على الأرجح) نزل رجل مسيحي اسمه خليل ، من جبـل عجلـون مـع أولاده ومـواشيـه إلى فلسطين ونـزل إلى قريـة الجـانبـة غربي رام الله ، والتقى أناساً من رام الله بذلك الرجل ، فحببوا له المقام في بلدتهم وخـاصـة أنهـا مسيحيـة ، ويستطيـع أن يعيش فيهـا بـاطمئنـان ونعمـة ، ولا ريب أن أهـالي رام الله كانوا يرغبـون في تشجيـع المسيحيين من خـارج رام الله على السكنى في بلـدهم لغايات أمنية . وهكذا جاء هذا المسيحي إلى رام الله وأكرموه والتحق بإحدى الأسر . وبما أنه جاء من عجلون فقد لقبوه « بـالعجلوني » ، وإليـه تنسب عـائلـة العجلوني في رام الله في الوقت الحـاضر . وفي عـام ١٨١٠ م نزح إلى رام الله من دير أبـان (إحـدى قرى القـدس) بعض المسيحيين ويرجح أن سبب نزوح هـؤلاء كان نتيجـة لاضطهـاد ديني . وكان أحد أفراد العائلات النازحة يدعى إبراهيم الأعرج ، ولما كان هذا متقدماً في السن ولا خلف له فقـد تزوج امرأة من رام الله علّهـا تنجب لـه خلفـاً يحفـظ اسمـه ويرث أرزاقه ، وشاء القدر أن تنجب له المرأة صبياً سماه إبراهيم ومنـه نشـأت عـائلـة الأعرج في رام الله حالياً[١] .

وفي حـوالي منتصف القرن التـاسـع عشر جـاء إلى رام الله من قريـة رفيـديـا المسيحية قرب نابلس رجل يـدعى « نزال » ، والتحق بحمولـة الشراقـة ، ويظهر أنـه كان تاجراً ولا يستبعد أنه سكن رام الله لقربها من القدس إذ وجد مجال العمل في هذه المنطقة أوسع منه في منطقة نابلس . وقد عمل آل نزال في بـادئ الأمر أدلاء للسيـاحـة ثم في مهنة الفنادق .

وفي عام ١٩٦٥ قدم إلى رام الله رجل مسيحي مع ولديه وأحفاده الثانيـة ، وكان قد تزوج امرأة من صفد في شمالي فلسطين ، وقد انتسب الأولاد إلى أمهم (أبناء عائلـة

---

(١) أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ١٣٢

حشمة في رام الله حالياً) حيث كان اسم زوجته التي تزوجها من صفد حشمة . وقدّر لخمسة من أبناء حشمة أن يكونوا أجداداً لعائلة حشمة في رام الله ، ولعائلة حشمة أقرباء في الناصرة[1] . وفي حوالي ١٨٨٥ قدم إلى رام الله رجل مسيحي يدعى عودة الدبيني من دبّين في جبل عجلون حيث توجه إلى الناصرة أولاً ثم تزوج هناك وبعدها قدم إلى رام الله .

وفي القرن العشرين ونتيجة للتهجير القسري في فلسطين إثر نكبة ١٩٤٨ وفدت إلى رام الله والبيرة أعداد غفيرة من اللاجئين ، ففي ١٣ و ١٤ تموز ١٩٤٨ أجبر اليهود أهل اللّد والرملة والقرى المجاورة على مغادرة ديارهم وأراضيهم ، وتدفق اللاجئون إلى رام الله والبيرة فاكتظت بهم . وقدّر عدد اللاجئين الذين قدموا إلى المدينة بنحو (٢٥٠٠٠) نسمة لم يبق منهم فيها إلا (٩٠٠٠) نسمة . ولم يكن معقولاً أن تتسع رام الله والبيرة لمثل هذا العدد الهائل من اللاجئين ، إذ لم يكن بمقدور البلدة إطعامهم وإسكانهم ، فتفرق بعضهم إلى مناطق أخرى . أما أثر هذه الهجرة على رام الله فله عدة جوانب : فبينما كان جميع المهاجرين إلى رام الله حتى نهاية القرن التاسع عشر نصارى وقرويون ، سرعان ما اندمجوا في مجتمع البلدة ، نرى أن المهاجرين إلى رام الله في القرن العشرين فيهم المسلم والمسيحي والقروي وابن المدينة ، كما أنهم جاؤوا بأعداد كبيرة غيرت شخصية البلدة . وقد زادت الهجرة من عدد السكان (انظر الجدول رقم ١ حول نمو السكان وبالذات الفترة ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢) .

الهجرة من رام الله والبيرة إلى الخارج :

كانت الهجرة من رام الله إلى الخارج (خارج فلسطين) في بادئ الأمر على شكل مغامرة ، فقد بدأت في أواخر القرن التاسع عشر على شكل فردي ، حيث أخذ بعض أبناء رام الله في التنقل بين رام الله وإنجلترا « بقصد التجارة » حيث يذكر لنا أبو ريّا[2] أن ذلك الشخص تمكن من جمع ثروة محترمة بمقاييس ذلك الزمن . كذلك في

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٣٣ ـ ١٣٥

(٢) أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ١٣٨ ـ ١٤٠

عام ١٨٩٨ سافروا إلى البرازيل حيث أول من غادر رام الله إثنان من أبنائها مكثا هناك سنة واحدة ، ومن هناك أرسل أحدهما إلى والده في رام الله حوالة مالية بقيمة ١٠٠ ليرة ذهب ، وهذه أول حوالة من الخارج يراها أهل رام الله .

غير أن الهجرة الحقيقية وعلى نطاق واسع هي هجرة أهالي رام الله إلى الولايات المتحدة في أوائل القرن العشرين ، ولا ريب أن لقدوم المبشرين الفرندز إلى رام الله وافتتاحهم مدارس فيها ، كان له أكبر الأثر على عقلية أهالي رام الله في هجرتهم إلى أمريكا . وكان السفر إلى أمريكا قبل الحرب العالمية الأولى سهلاً ، فلم يكن على من يود السفر إلا أن يحضر شهادة طبيب عيون على أن عينيه خالية من « التراخوما » ، ولم تكن تأشيرة الدخول قد عرفت بعد .

كان أهل رام الله في أول عهدهم بأمريكا يسافرون لها للعمل ، ولم يكونوا يفكرون بالاستيطان ، وكان أكثرهم يعملون باعة متجولين ، ومتى تجمع لدى الواحد منهم مبلغ من النقود يعود إلى رام الله فيبني بيتاً أو يشتري أرضاً يزرعها ليعيش منها . وقد سافرت قلة من أهالي رام الله إلى الأرجنتين والبرازيل ، ولكنهم لم ينجحوا هناك نجاح أبناء رام الله في الولايات المتحدة . وكانت العادة أن يسافر الرجال فقط ، أما النساء فتبقى في البلدة . ولعل هذا كان سبباً وراء انخفاض معدلات الزيادة الطبيعية في رام الله عن مثيله في باقي المناطق الأخرى .

وإبان الحرب العالمية الأولى انقطع الاتصال مع أمريكا فلم يستطع أحد من البلدة السفر إليها كما لم يستطع أحد من الموجودين فيها العودة إلى رام الله ، ولكن بعد انتهاء الحرب عاد الاتصال من جديد ونشطت حركة الهجرة ، فأخذ هؤلاء المهاجرون يبعثون بالنقود إلى أهاليهم في البلدة فيستثمرونها في البناء أو شراء الأراضي على الساحل الفلسطيني ، أو يدفعوا تكاليف تعليم أبنائهم في المدارس والمعاهد .

كان أبناء رام الله يسافرون إلى أمريكا ويعودون منها ، دون أن يخطر ببال أحد أن هناك خطراً جدياً على مستقبل البلاد ، بالرغم من الاضطرابات التي كانت تحدث ، وكانوا يعتقدون أنهم سيظلون في بلدتهم . ولم يشعر هؤلاء بحقيقة الخطر الصهيوني إلا في عام ١٩٤٨ ، عندها أخذت الهجرة تتزايد إلى أمريكا وحدث نفس

الشيء في عام ١٩٦٧ فهاجرت أعداد كبيرة ، وقد ساعدت الحكومة الأمريكية (حيث أعطت تسهيلات كثيرة) على عملية الهجرة هذه تمشياً مع السياسة الصهيونية الرامية إلى تفريغ البلاد من سكانها الأصليين . وقد بلغ عدد المهاجرين من رام الله والبيرة (٢٠٢٧) مهاجراً وذلك تبعاً لبيانات تعداد ١٩٦١ من بينهم (١٤٨٢) ذكوراً و (٥٤٥) إناثاً ، وقد كان ٦٧,٥٪ من هؤلاء في فئات العمر من ٢٠ ـ ٤٩ سنة . في حين بلغ عدد المهاجرين من رام الله والبيرة عام ١٩٥٢ (٢٥٨٠) نسمة أو ما يعادل ٤٠٪ من السكان .

ويذكر لنا محمد حماد مؤلف كتاب مدينة البيرة أن حروب تركيا المتعاقبة في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين كانت قد أفقدت البيرة الكثير من الأيدي العاملة ، ثم جاءت الحرب العالمية الأولى لتزيد الأمور تعقيداً . ولكنها ما كادت تضع أوزارها ، حتى بادر العديد من أبناء البيرة إلى الهجرة إلى الولايات المتحدة ، مقتفين إثر نفر كريم من إخوانهم كان قد غامر واكتسب مالاً ونجاحاً . وكان المغتربون في المهجر يمكثون عدداً من السنوات (في معظم الأحيان من ثلاث إلى خمس سنوات) ويعودون بعدها إلى المدينة وقد اكتسبوا أموالاً وثقافة ومعرفة ، ويساهمون في تطور المدينة وإنعاشها اقتصادياً . وكان عدد الذين تغربوا في البداية قليلاً ، إلا أن هذا العدد مالبث أن تزايد وتضاعف إلى أن أصبح عدداً كبيراً ، ولم يكتف الذين تغربوا بغربتهم بل دأبوا على تشجيع أبنائهم وأصدقائهم إلى الهجرة . وكثير من أبناء البيرة قصدوا المهجر بقصد التعلم ، وهناك وجدوا المجال أمامهم متسعاً للعلم والعمل . وهاجر أبناء البيرة إلى البرازيل ، فنزويلا ، هندوراس المكسيك ، وبعضهم هاجر إلى الولايات المتحدة ، وإلى دول الخليج العربي والسعودية[١] .

خصائص السكان :

أولاً : عدد السكان وديانتهم ونوعهم (ذكور وإناث) والأسر والمساكن :

يتبين لنا من إحصاء ١٩٢٢ م أن سكان مدينة رام الله بلغوا ٣١٠٤ نسمة منهم

(١) حماد ، مصدر سابق ، ص ٧٧

٩٦٪ من المسيحيين والباقي من المسلمين . أما من إحصاء ١٩٣١ م فقد تبين لنا أن عـدد السكان قد زاد إلى ٤٢٨٦ نسمة موزعين كالتالي :

	ذكور	إناث	المجموع
مسيحيون	١٦٦٢	٢١٠٤	٣٧٦٦
مسلمون	٢٧٩	٢٤٠	٥١٩
يهود	—	١	١
المجموع	١٩٤١	٢٣٥٤	٤٢٨٦

كذلك بين لنا إحصـاء ١٩٣١ م أنـه كان هنـاك ١٠١٤ مسكنـاً في رام الله . وفي تعداد ١٩٥٢ م تبين أن عدد سكان رام الله بلغ ١٧١٤٥ نسمة منهم ٨٤٩٠ ذكوراً و ٨٦٥٥ إناثـاً ، وفي تعـداد ١٩٦١ م كان عـدد سكان رام الله ١٤٧٥٩ منهم ٧٢١٠ ذكوراً و ٧٥٤٩ إناثاً ، ومن بين المجموع كان هنـاك ٦٤٩٩ مسلمـاً و ٨٢٦٠ مسيحيـاً ، وكان في المـدينـة ٢٨٥٦ أسرة يسكنون في ١٧٣١ مسكناً .

أما بالنسبة لمدينة البيرة فإن إحصاء ١٩٢٢ م بين أن عدد سكانها ١٤٩٧ م نسمة ، وفي إحصاء ١٩٣١ م بلغ عددهم ٢٢٩٢ نسمة موزعين كالتالي :

	ذكور	إناث	المجموع
مسلمون	٩٨٠	١٠٦٤	٢٠٤٤
مسيحيون	١٥٦	٩٢	٢٤٨
المجموع	١١٣٦	١١٥٦	٢٢٩٢

وفي تعداد ١٩٥٢ م بلغ عدد سكان البيرة ٩٠٨٠ نسـة منهم ٤٤٨٧ ذكوراً و ٤٥٩٣ إناثاً ، أما في تعداد عـام ١٩٦١ م فقـد بلغ عـدد سكان البيرة ١٤٥[illegible] نسـة منهم ٧١٩٢ ذكوراً و ٧٣٠٨ إناثـاً ، ومن المجموع الكلي لسكان المـدينة كان هنالك ١٤٠٢٥ مسلمون والباقي مسيحيون . وكان في البيرة ٢٧٠٠ أسرة تقطن في ١٨٢٩ مسكناً .

إن الأرقام السابقة لسكان مدينتي رام الله والبيرة تدل دلالة واضحة على أن عدد السكان كان في تزايد ، إلا أن الزيادة الحقيقية حدثت في عام ١٩٤٨ م عندما وفدت إلى المدينة أعداد كبيرة من اللاجئين . ولقد أظهر تعداد ١٩٥٢ م مثل هذه الزيادة المفاجئة ، إلا أن جزءاً من اللاجئين ، انتقلوا إلى أماكن أخرى في الضفة الغربية أو الضفة الشرقية ، وبالتالي نقص عدد السكان لرام الله في تعداد ١٩٦١ م . ومن المؤشرات الهامة التي تبينها لنا الأرقام السابقة أن نسبة الإناث سواء في رام الله أو في البيرة هي أعلى من نسبة الذكور إلى الإناث (ذكور لكل ١٠٠ أنثى) في رام الله ٧٨,٧ في عام ١٩٣١ م ، و ٩٨ في عام ١٩٥٢ م بينما بلغت ٩٥,٥ في عام ١٩٦١ م ، ويفسر الانخفاض في عام ١٩٣١ م باشتداد الهجرة إلى الخارج في الفترة بين الحربين العالميتين . كما أن النسبة في عام ١٩٥٢ م و ١٩٦١ م هي لمجموع السكان في رام الله أي بما فيهم الذين وفدوا إثر أحداث عام ١٩٤٨ م ، وبالطبع كان هؤلاء شكلوا نسبة كبيرة من سكان المدينة ، وكانت الهجرة إلى الخارج عندهم مازالت أمراً لا يفكرون فيه . وكذلك يمكن القول عن سكان مدينة البيرة ، ويظهر أن نسبة النوع في البيرة كانت أعلى من مثيلتها في رام الله بشكل عام .

وللأسف لاتوجد بيانات تفصيلية لسكان رام الله والبيرة في ظل الاحتلال ، غير أن إحدى الدراسات[1] أشارت إلى التركيب العمري والنوعي للسكان في عام ١٩٨٤ م وأوضحت تلك الدراسة أن نسبة الذكور في رام الله والبيرة تنخفض إلى ٩٥ ، ومعنى ذلك أن الهجرة مازالت تلعب دورها في ترجيح عدد الإناث على عدد الذكور .

ثانياً : التركيب العمري للسكان :

أظهر تعداد ١٩٦١ بيانات تفصيلية عن التركيب العمري والنوعي لسكان رام الله والبيرة معاً ، ويتبين من خلاله أن المجتمع في رام الله والبيرة يتصف بأنه مجتمع فتي (شاب) أي أن نسبة صغار السن تحت ١٥ سنة مرتفعة وقد بلغت ٤٣,٦ ٪ من مجموع

(١) خمايسة ، راسم ، تقرير عن مشروع التنظيم الهيكلي لمدينتي رام الله والبيرة ، ١٩٨٥ م ، القدس ، بتصرف .

السكان ، كما أن نسبة المسنين فوق ٦٥ سنة بلغت ٤,٨ ٪ من مجموع السكان . أما السكان القادرون على العمل ١٥ ـ ٦٤ سنة فتبلغ نسبتهم ٥١,٧ ٪ من مجموع السكان . وتعكس لنا هذه النسب أن نصف المجتمع تقريباً غير قادرين على العمل (من المسنين والأطفال) ويعزى ذلك لارتفاع نسبة صغار السن نتيجة الخصوبة المرتفعة وهجرة الشباب للخارج طلباً للعمل ، كما تعكس لنا نسبة إعالة خام مرتفعة نسبياً إذا ماقورنت بمجتمعات أخرى خاصة الصناعة المتقدمة .

لقد بقيت صورة التركيب السكاني في رام الله والبيرة في عام ١٩٨٤ تقريباً كما كانت عليه في عام ١٩٦١ (انظر الجدول رقم ٢) . فمن حيث نسبة النوع بقيت بشكل عام منخفضة وبلغت ٩٥ ، وتصل النسبة إلى أدنى مستوى لها في الفئات ٢٠ ـ ٢٤ وحتى الفئة ٤٥ ـ ٤٩ ، وتعود لترتفع في الفئتين ٥٠ ـ ٥٤ و ٥٥ ـ ٥٩ ، أما في الفئة ٦٠ ـ ٦٤ و ٦٥ فأكثر فتعود إلى الانخفاض مرة أخرى . وبالتأكيد فإن عامل الهجرة يلعب دوره هنا خاصة في الفئات الوسطى ، ولا غرابة في ذلك فإن رام الله والبيرة قد بدأت حركة الهجرة منها منذ مطلع هذا القرن واستمرت حتى الوقت الحاضر ، وقد عملت سلطات الاحتلال على تهجير السكان من الفئات الوسطى ، خاصة الذكور ، بوسائلها المختلفة .

أما بالنسبة للتركيب العمري فإننا نلاحظ أن هناك اختلافاً في التركيب العمري في عام ١٩٨٤ عن مثيله في عام ١٩٦١ ، وبالنسبة للفئات العريضة للسكان (تحت ١٥ سنة ، ١٥ ـ ٦٤ سنة و ٦٥ سنة فأكثر) فقد زادت نسبة السكان في فئات العمر الوسطى ١٥ ـ ٦٤ وهي الفئات القادرة على الإنتاج من ٥١,٧ ٪ في عام ١٩٦١ إلى ٥٦,٣ ٪ في عام ١٩٨٤ ، بينما انخفضت نسبة المسنين فوق ٦٥ سنة من ٤,٧ ٪ في عام ١٩٦١ إلى ١,٤ ٪ في عام ١٩٨٤ ، وهو انخفاض نسبي لأن نسبة متوسطي السن قد زادت ، وكذلك الحال فيما يتعلق بهبوط نسبة صغار السن من ٤٣,٦ ٪ في عام ١٩٦١ إلى ٤٢,٣ ٪ في عام ١٩٨٤ . وربما تعزى زيادة نسبة السكان في الفئات الوسطى إلى أن رام الله والبيرة في ظل الاحتلال قد أصبحتا مركزاً للضفة الغربية (من ناحية إدارية وتجارية) ، كما كان للمؤسسات التعليمية دورها في جذب الطلبة إلى المدينة من المناطق والقرى المحيطة .

جدول ـ ٢ ـ توزيع السكان في رام الله والبيرة حسب فئات الأعمار والنوع في عام ١٩٨٤ م

الفئات	النسبة المئوية	عدد السكان	ذكور	إناث	نسبة الذكور لكل ١٠٠ انثى
٠٠ـ٤	١٤,٩	٦٧٨٨	٣٥٤٠	٣٢٤٨	١٠٩
٥ـ٩	١٤,٢	٦٤٦٧	٣٣٤٣	٣١٢٤	١٠٧
١٠ـ١٤	١٣,٢	٥٩٨٨	٣٠٨١	٢٩٠٧	١٠٦
١٥ـ١٩	١٢,١	٥٥٠٧	٢٧٨١	٢٧٢٦	١٠٢
٢٠ـ٢٤	١٠,١	٤٥٧٦	١٩٦١	٢٦١٥	٧٥
٢٥ـ٢٩	٨,٩	٤٠٥٤	١٨٠٢	٢٢٥٢	٨٠
٣٠ـ٣٤	٦,٤	٢٩٢٣	١٣٢٦	١٥٩٧	٨٣
٣٥ـ٣٩	٤,٧	٢١٣٢	٩٨٠	١١٥٢	٨٥
٤٠ـ٤٤	٣,٩	١٧٨٤	٨٣٥	٩٤٩	٨٨
٤٥ـ٤٩	٣,١	١٤٠٨	٦٥٥	٧٥٣	٨٧
٥٠ـ٥٤	٢,٩	١٣٤٤	٦٥١	٦٩٣	٩٤
٥٥ـ٥٩	٢,٤	١٠٧١	٥١٩	٥٥٢	٩٤
٦٠ـ٦٤	١,٨	٨١٨	٣٦٤	٤٥٤	٨٠
٦٥+	١,٤	٦٥٩	٢٩٥	٣٦٤	٨١
المجموع	٪١٠٠	٤٥٥٠٠	٢٢١٣٣	٢٣٣٦٧	٩٥

المصدر : راسم خمايسة ، تقرير عن مشروع التنظيم الهيكلي لمدينتي رام الله والبيرة ل القدس ، ١٩٨٥ م (بتصرف) .

ثالثاً : الحالة الزواجية للسكان :

إن ٣٩,٧ ٪ من مجموع السكان في رام الله والبيرة هم من العازبين و ٥٢,٧ ٪ هم متزوجون ، و ٧,٢ ٪ أرامل و ٠,٤ ٪ مطلقين . وتزيد نسبة العازبين من الذكور على

أمثالهم من الإناث (٤٥,٣ ٪ و ٣٤,٨ ٪ على التوالي) بينما تكاد نسبة المتزوجين تكون متقاربة بين النوعين . وتختلف هذه النسب تبعاً لاختلاف فئات الأعمار فنسبة العازبين بين الذكور أعلى في الفئات ١٥ ـ ١٩ و ٢٠ ـ ٢٤ و ٢٥ ـ ٢٩ وتكاد تتقارب عند الفئات ٣٠ ـ ٣٤ و ٣٥ ـ ٣٩ ثم تعود لكي تنخفض النسبة عند الذكور عن مثيلتها عند الإناث . أما عن نسبة المتزوجين في الفئات العمرية المختلفة فهي أقل لدى الذكور في الفئات ١٥ ـ ١٩ ـ و ٢٠ ـ ٢٤ و ٢٥ ـ ٢٩ من مثيلتها لدى الإناث . والواقع أن لعامل الهجرة دوراً كبيراً في اختلاف هذه النسب ، كما أن العامل الاجتماعي يلعب دوره خاصة بالنسبة للزواج المكبر للإناث . وفي بعض الأحيان يحدث أن يميل السكان الذكور إلى الزواج من الإناث الأصغر سناً منهم ، خاصة أولئك المهاجرين الذين يعودون بعد فترة من اغترابهم ، لذلك نلاحظ أن نسبة الزواج في الفئة ٣٠ ـ ٣٤ والفئات التي تليها تزيد لدى الذكور أكثر من الإناث .

رابعاً : التركيب الاقتصادي للسكان :

بلغ عدد السكان العاملين في رام الله والبيرة ٦١٢٢ نسمة في عام ١٩٦١ (من بين هؤلاء ١٩٤ أعمارهم بين ٥ ـ ١٤ سنة و ١١٣ أعمارهم فوق ٦٥ سنة) ، بينما بلغ عدد السكان في فئات العمر ١٥ ـ ٦٤ سنة ١٥١٥١ نسمة وهذه الأرقام تبين لنا ما يلي :

١ ـ نسبة إعالة حقيقية مرتفعة جداً حيث تصل إلى ١ : ٥ أي أن كل فرد من العاملين في رام الله والبيرة عليه أن يتحمل عبء إعالة أربعة أشخاص آخرين بالإضافة إلى نفسه .

٢ ـ إن معدل المشاركة الاقتصادية بين السكان القادرين على العمل منخفض خاصة لدى الإناث ، فنلاحظ أن من بين السكان القادرين على العمل ٢٥ ٪ فقط يعملون ، وتبلغ هذه النسبة ٤٦,٢ ٪ و ٥ ٪ فقط للإناث . وتبلغ أعلى نسبة للعاملين الذكور في الفئات العمرية ٢٥ ـ ٤٩ ، وأعلى نسبة للعائلات الإناث في الفئات العمرية ٢٠ ـ ٢٩ .

٣ ـ إن للهجرة تأثير واضح على تخفيض عدد العاملين ومعدل المشاركة

الاقتصادية ، وكذلك للتعليم دوره في التأثير على ذلك المعدل ، كما أن معدل المشاركة الاقتصادية للمرأة منخفض جداً .

أما بالنسبة لقطاعات النشاط الاقتصادي لسكان رام الله والبيرة فنلاحظ أن قطاع الخدمات يحظى بأعلى نسبة (٣١,٨ ٪) من الأنشطة الاقتصادية للسكان ، يليه قطاع البناء ١٨,٨ ٪ ، ثم الصناعة التحويلية ١٦,٩ ٪ ، ثم التجارة ١٢,٨ ٪ . ونلاحظ أن معظم الإناث أي حوالي ٧٣,٨ ٪ يعمل في قطاع الخدمات ، بينما يعمل من الذكور في هذا القطاع ٢٧ ٪ .

خامساً : الحالة التعليمية للسكان :

يتبين لنا من إحصاءات ١٩٦١ أن حوالي ٥٢ ٪ من السكان في رام الله والبيرة فوق ١٥ سنة في عام ١٩٦١ كانوا يقرأون ويكتبون و ٤٨ ٪ هم أميون ، وكانت نسبة الأمية للسكان فوق ١٥ سنة مرتفعة بين الإناث عن مثيلتها للذكور حيث بلغت للإناث حوالي ٦٠ ٪ بينما للذكور ٣٥ ٪ . وتزيد نسبة الأمية للذكور والإناث على حد سواء مع التقدم في العمر وتبلغ أدناها في فئة العمر ١٥ ـ ١٩ ثم ترتفع تدريجياً في الفئات العمرية التالية . كذلك يتبين لنا أن معدلات التحاق الطلبة بالتعليم من العمر ٦ سنوات وحتى ٢٤ سنة أن ٥٢ ٪ من مجموع السكان في العمر ٦ ـ ٢٤ سنة هم ملتحقون بالتعليم وتبلغ النسبة ٥٧,٦ ٪ للذكور و ٤٦,١ ٪ للإناث . ونلاحظ أن النسبة منخفضة في العمر ٥ سنوات (التلاميذ ليسوا في سن الدراسة) وكذلك عند العمر ٦ سنوات حيث تبلغ النسبة ٤٥,٨ ٪ لمجموع السكان من هذا العمر . والسبب في ذلك هو التبليغ عن العمر ، حيث أن بعض الأطفال كانوا قد بلغوا السادسة وقت إجراء التعداد في عام ١٩٦١ ، أو أن الأمهات اللواتي بلغن عن أعمار أطفالهن قد أعطين العمر لأقرب سنة . وتصل النسبة إلى ٩٠ ٪ في الأعمار ٧ سنوات وحتى ١١ سنة وهي سن المرحلة الابتدائية . بينما تتراجع النسبة بعد سن الثانية عشرة ، حيث يحدث التسرب من المدارس خاصة بين الإناث . وكذلك الحال بالنسبة للذكور الذين يلتحقون بالعمل : أما في العمر ١٩ ـ ٢٤ سنة فنسبة الالتحاق منخفضة جداً حيث أن كثيراً من الطلاب يلتحقون بالعمل بعد تخرجهم من المدارس .

الفصل الثالث

تطور الوضع التعليمي والصحي والاقتصادي والاجتماعي

تطور التعليم في البيرة :

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أدرك أهل البيرة أهمية التعلم (ولعل ذلك الإدراك وتلك الأهمية قد ظهرا نتيجة وازع ديني) . فأنشأوا كتّاباً صغيراً ، يعلم أبناء القرية القراءة والكتابة والقرآن الكريم وأصول الدين ، وكان يقوم على هذا الكتّاب معلم من الشيوخ ، ذو إلمام بسيط بالقراءة ، يلقب بالشيخ بسبب العمّة التي يلبسها على رأسه . أما مكان التعليم فقد كان الجامع ، ثم انتقل إلى بناء قديم جنوب دائرة البلدية الحالية . كان البناء ضيقاً منخفض السقف ، ولم يزد ارتفاع بابه على المتر ، وكان المتعلمون يجلسون على الأرض على حصير وبأيديهم ألواح خشبية يطلونها بتربة خضراء ويكتبون عليها بمسمار أو بخشبة مدببة الرأس . ولم تلبث الحكومة العثمانية أن أدركت رغبة الأهالي في العلم وإقبالهم عليه فابتنت لهم في عام ١٩١٣ مدرسة واسعة تتكون من أربع غرف صحيّة وإيوان فسيح . ولا تزال هذه الغرف قائمة تشكل جزءاً مهماً من البناء الذي كانت تشغله المدرسة الهاشمية الثانوية حتى عام ١٩٨٤ م ، وقبل انتقالها للمبنى الجديد الذي أقامه مغتربو البيرة بأموالهم وتبرعاتهم . وكانت تلك المدرسة تعلم التلاميذ بالإضافة إلى اللغة حفظ القرآن الكريم . ولكن بمرور الوقت كانت هذه المدرسة تزداد تقدماً واتساعاً ، إلى أن أصبحت مدرسة ثانوية في عهد الانتداب ، يؤمها الطلاب المتفوقون من سائر القرى المحيطة . وعند قيام الوحدة بين ضفتي الأردن مضت تتسع وتتقدم ، كما زاد عدد المعلمين والطلبة فيها إلى

أن أصبحت تضم أكثر من ألف طالب . ثم أقيمت مدارس ابتدائية وإعدادية بحيث بقيت المدرسة الهاشمية الثانوية للتعليم الثانوي العلمي فقط[1] .

ومن جهة أخرى قامت جمعية الأصدقاء الأمريكية (مركزها ريتشموند بالولايات المتحدة الأمريكية) بتأسيس مدرسة الفرندز للذكور في عام ١٩١٣ ، وباشرت التعليم في أكتوبر ١٩١٩ . وأصابت هذه المدرسة نجاحاً منقطع النظير في عهد الانتداب ، عندما كان التعليم الثانوي مقصوراً على فئة المتفوقين من الطلاب . وكان يؤمها الطلاب من أنحاء فلسطين وشرقي الأردن ، ولقد بقيت قبلة أنظار الطلبة يؤمونها من حيفا ، يافا ، الناصرة ، غزة ، الكرك ومادبا مدة طويلة من الزمن . ولم ينقطع هذا التدفق من الطلاب إليها إلا بعد أن أصبح التعليم الابتدائي والثانوي مجانياً في المدارس بعد عام ١٩٥٠ . وفي عام ١٩٦٥ كانت هذه المدرسة تضم ٣٠٠ طالباً منهم ٨٠ طالباً في القسم الداخلي للمدرسة ، وكان عدد المعلمين فيها في تلك السنة ١٧ معلماً .

وفي نهاية الخمسينات تم تأسيس مدرسة البيرة الثانوية حيث بدأت ابتدائية فإعدادية فثانوية كاملة ، وهي مبنية على طراز علمي حديث ومزودة بالملاعب والساحات ، كذلك أنشئت في البيرة في منتصف الخمسينات مدرسة للمكفوفين هي المدرسة العلائية للمكفوفين والمكفوفات . كذلك توجد في البيرة في الوقت الحاضر العديد من المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية للبنات ، بعضها مدارس حكومية والأخرى تابعة لوكالة الغوث الدولية للاجئين . وفي عام ١٩٦٦ / ١٩٦٧ كانت البيرة تضم المدارس التالية[2] :

أولاً : المدارس الحكومية :

(بنين) الهاشمية الثانوية ، البيرة الجديدة إعدادية ، عبادة بن الصامت ابتدائية ، وكان عدد طلبتها ١٢٩٤ طالباً يعلمهم ٤٠ معلماً .

---

(١) حماد ، مصدر سابق ، ص ٣٥ .

(٢) الدباغ ، مصدر سابق ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢

(بنات) المدرسة الثانوية ، مدرسة البيرة الإعدادية والابتدائية ، وبلغ عدد طلبتها ١١٦٣ طالبة تعلمهن ٣١ معلمة .

ثانياً : مدارس وكالة الغوث :

(البنين) ١ ـ ابتدائية إعدادية . ٢ ـ ابتدائية ومجموع طلبتها ١١٧٢ طالباً يعلمهم ٣٠ معلماً .

(البنات) ثلاث مدارس : ابتدائية وإعدادية ومجموع طالباتها ٩٧٤ طالبة تعلمهن ٣٣ معلمة .

ثالثاً : المدارس الخاصة :

وعددها ثلاث مختلطة وعدد طلابها (٢٢٥) وطالباتها (٣٥٤) .

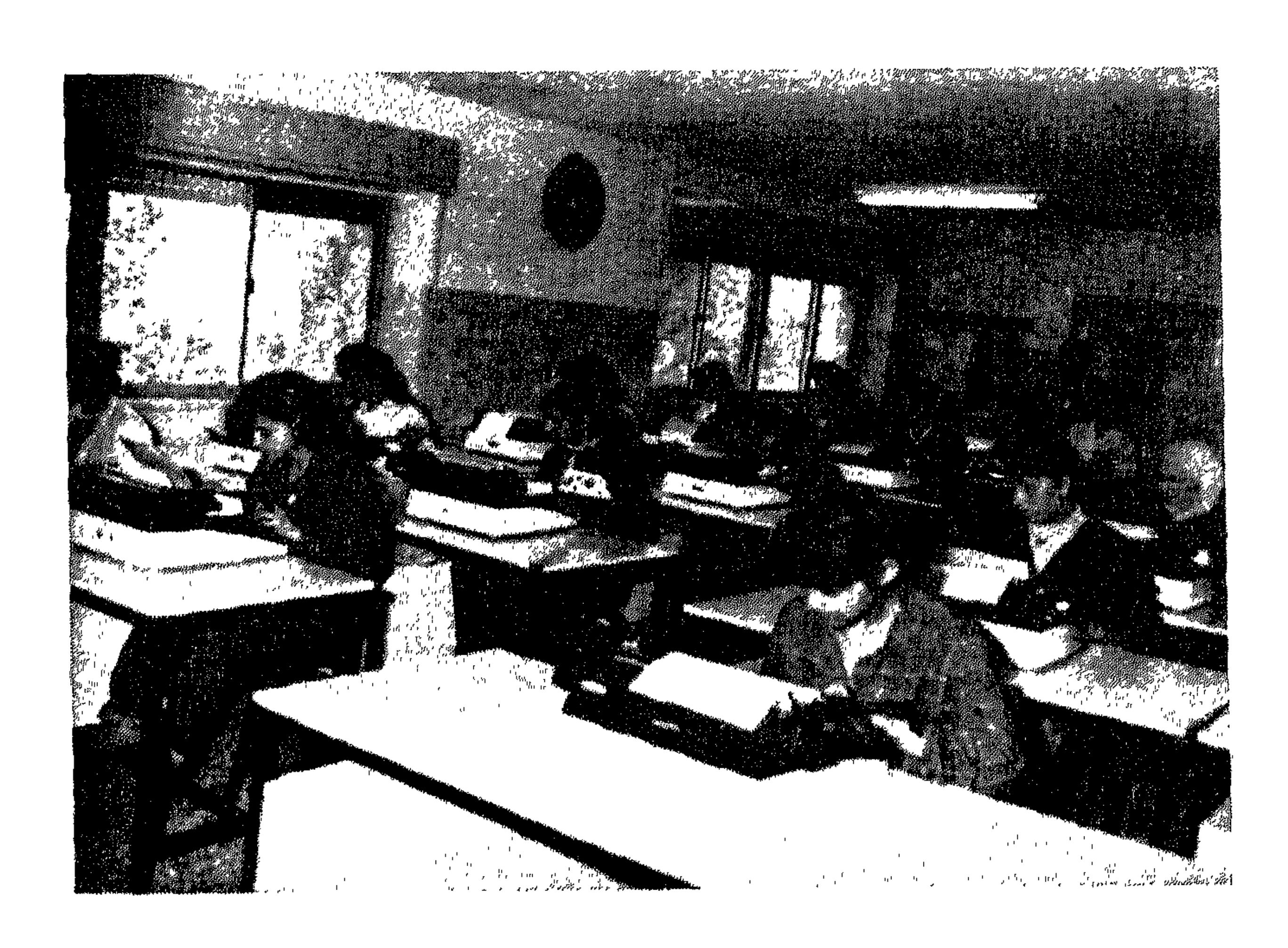
تطور التعليم في رام الله :

إذا كان الجامع هو المكان الذي يتلقى فيه أبناء البيرة التعليم على يد الشيخ ، فإن الأديرة كانت المكان الذي بدأ يتلقى فيه أبناء رام الله التعليم على يد الكاهن . ففي عام ١٨٣٨ زار السائح Robinson قرية رام الله الأرثوذكسية (آنذاك) ، وطلب من كاهنها دليلاً ليرافقه ، فقدم له الكاهن دليلاً ظهر فيما بعد أنّه معلم المدرسة في البلدة ، ويقول Robinson أن عدد طلاب المدرسة في ذلك الوقت كان خمسة أو ستة طلاب ، وكان المعلم يتقاضى عن الطالب طيلة مدة التعليم خمسين غرشاً ، بالإضافة إلى عشر بارات يدفعها الطالب كل يوم سبت وثلاثة قروش عند إنهاء كل سبعة دروس في المزامير ، وكان حفظ المزامير جزءاً مهماً من المنهاج .

ولم تكن الحكومة التركية تهتم بأمر التعليم للأهالي فلم تفتح لهم المدارس في رام الله ، وكانت الأديرة هي التي تقوم بأمر التعليم بين المسيحيين ، وفي رام الله الأرثوذكسية كانت المدرسة الوحيدة هي لدير الروم الأرثوذكس . وظلت الحال كذلك حتى منتصف القرن التاسع عشر ، ففي عام ١٨٤٦ جاء فلسطين مبشر ألماني ينتمي إلى البروتستنت اسمه (صموئيل غوبت) ، وقد أسس هذا المبشر خمس مدارس

للذكور في فلسطين واحدة منها في رام الله . وكانت هذه ثاني مدرسة في رام الله وهي تبشيرية بينما المدرسة الأولى الأرثوذكسية مدرسة وطنية[1] . وظلت مدرسة غويت مفتوحة حتى قبل الحرب العالمية الأولى . وفي عام ١٨٥٧ قدم اللاتين إلى رام الله وافتتحوا لهم مدرسة للذكور فيها . وفي عام ١٨٩٥ جاء الروم الكاثوليك إلى رام الله وافتتحوا مدرسة للذكور ولكنها لم تعمر طويلاً .

إن المدارس سابقة الذكر كانت مدارس طائفية تبشيرية ، وليس غريباً أن يكون التعليم الديني بأشكاله المختلفة قد طغى على التعليم ، أي أن كل طائفة كانت تعلم التعاليم والترانيم الدينية الخاصة بها . وكانت جميع المدارس تعلم اللغة العربية بالإضافة إلى اليونانية والفرنسية والإنجليزية ، وكذلك بعض الحساب والجغرافيا والتاريخ .



(١) أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ٤٥ .

أما عن مدارس الإناث فأول مدرسة لهن أسستها جماعة الفرندز في عام ١٨٦٩ حيث كانت أول مدرسة من نوعها في رام الله ومن الأوليات في فلسطين ، وكان افتتاح هذه المدرسة حافزاً للروم الأرثوذكس لإنشاء مدرسة للبنات ، وحذا حذوهم اللاتين ، حيث طلب البطريرك اللاتيني في عام ١٨٧٣ من أخوات رهبنة القديس يوسف أن يفتتحن لهن فرعاً في رام الله ، وفعلاً جئن إلى البلدة وافتتحن مدرسة في نفس السنة ، وكانت هذه المدرسة تعلم العربية ، الفرنسية ، والإنجليزية ، كما كانت تقوم بتعليم الخياطة وفن الرسم وغيرها .

وفي بداية القرن العشرين وبالتحديد في عام ١٩٠١ افتتح الفرندز مدرسة للبنين في رام الله ، ثم انتقلت إلى البيرة في عام ١٩١٣ . وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت النهضة التعليمية الحقيقية في رام الله ، وظهر اهتمام أبنائها بالتعليم واضحاً ، فقامت بعض سيدات رام الله بافتتاح مدارس خاصة في بيوتهن ، وقامت جمعية شبان رام الله في نيويورك بتأسيس المدرسة الوطنية بفرعيها للذكور والإناث ، وفي عام ١٩٢٧ التحقت المدرسة الوطنية بإدارة المعارف في فلسطين .

وفي رام الله اليوم ثلاث مدارس حكومية للذكور ومدرستان للإناث ، كذلك افتتحت بعد ١٩٥٠ بعض المعاهد مثل معهد المعلمات الحكومي وملحق بالمعهد مدرسة للتطبيقات والتجارب التربوية (والتعليم فيها مختلط) .

ولوكالة الغوث أربع مدارس للذكور ومدرستان للإناث في رام الله ، كذلك يتبع لوكالة الغوث مركز تدريب المعلمين ومركز تدريب الفتيات في الطيرة . وكذلك توجد في رام الله سبعة مدارس خاصة مختلطة وثلاث مدارس خاصة للإناث وواحدة للذكور .

ودار لرعاية الأحداث أسست عام ١٩٥٣ لاحتواء الأيتام والمشردين .

وكان هناك مشروع لنقل كلية بيرزيت إلى رام الله لإنشاء جامعة في رام الله ، إلا أن كلية بير زيت نفسها تحولت إلى جامعة فأصبح من الصعب إنشاء جامعة أخرى في رام الله . وفي عام ١٩٦٦ / ١٩٦٧ ضمت رام الله المدارس التالية[١] :

---

(١) الدباغ ، مصدر سابق ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠

أولاً : مدارس الحكومة :

البنين ثلاثة مدارس فيها ٩٥٠ طالباً يعلمهم ٣٤ معلماً .

البنات مدرستان فيها ٧٤٨ طالباً تعلمهن ٢٥ معلمة .

ثانياً : وكالة الغوث :

البنين مدرستان فيها ٥١٣ طالباً يعلمهم ١٧ معلماً .

البنات مدرسة واحدة فيها ٣٣٥ طالبة يعلمهن ١٠ معلمات .

ثالثاً : المدارس الخاصة :

عددها ست مدارس ، فيها ٨٨٥ طالباً و ٨٦٨ طالبة .

تطور عدد الطلبة في رام الله والبيرة :

بلغ عدد الطلبة في رام الله والبيرة في العام الدراسي ١٩٤٢ / ١٩٤٣ نحو ٢١٥٢ طالباً وطالبة منهم ٩٢٤ طالبة و ١٢٢٨ طالباً[١] . بينما بلغ هذا العدد ٧٠٩٨ طالباً وطالبة في عام ١٩٦١ منهم ٣٩٩٢ طالباً و ٣١٠٦ طالبة ، أي ما يعادل ٢٤,٣ ٪ من مجموع السكان في ذلك العام . وقد ارتفع عدد الطلبة إلى ١٣٤٢٨ طالباً وطالبة في العام الدراسي ١٩٨٥ / ١٩٨٦ أو ما يعادل ٣٨,١ ٪ من مجموع السكان في تلك السنة في رام الله والبيرة[٢] . وتضم المدارس الحكومية (١٩٨٥ / ١٩٨٦) ٤٧٥٥ طالباً وطالبة ، بينما تضم المدارس الخاصة ٣٦١٩ طالباً وطالبة ، أما مدارس الوكالة فتضم ٣٠٣٤ طالباً وطالبة . وفي المعاهد العليا بلغ عدد الطلبة في داخل المدينة فقط لذلك العام ١٤٠٥ طالباً وطالبة ، كما أن عدد الأطفال في مدارس رياض الأطفال ذلك العام بلغ ٦١٥ طفلاً ، وجدول (٣) يوضح تفصيلات ذلك .

---

(١) الدباغ ، مصدر سابق ، ص ٢٤٨

(٢) سجلات مكتب التربية والتعليم ، لواء رام الله ، غير منشورة ، العام الدراسي ١٩٨٦/٨٥

جدول - ٣ - المدارس والمعاهد التعليمية في مدينة رام الله والبيرة وأعداد الطلاب فيها للعام الدراسي ١٩٨٦/٨٥

اسم المدرسة الحكومية	عدد الطلاب	اسم المدرسة الأهلية	عدد الطلاب	اسم المدرسة/ الوكالة	عدد الطلاب	اسم الروضة الروضة	عدد الطلاب	اسم كلية المجتمع وكلية جامعية	عدد الطلاب
بنات البيرة الابتدائية	٦٨٩	الرجاء الإنجيلية	٤٦٢	ذكور الأمعري (١)	٢٤٤	جمعية إنعاش الأسرة	١١٠	كلية رام الله	
بنات البيرة الثانوية	٣٣٧	الأهلية الثانوية	٣٦٨	ذكور الأمعري (٢)	٩٢١	جنة الأطفال	١٠١	للبنات / حكومة	٢٢٨
بنت الأزور الإعدادية	٥٣٥	راهبات ماريوسف	٦٣٩	بنات الأمعري	١٠٨٨	دنيا الأطفال	٣٠	كلية رام الله	
التطبيقات النموذجية الابتدائية	١٨١	الفرندز الثانوية للذكور	٤٠٣	بنات رام الله الإعدادية	٣٣٤	الجمعية الخيرية الإسلامية	١٨٠	للبنات / وكالة	٦٥٣
ذكور البيرة الجديدة الإعدادية	٢٧٩	الفرندز الثانوية للبنات	٤٦٨	ذكور رام الله الإعدادية	٢٢٠	جمعية رعاية الطفل رام الله	١٩	كلية رام الله	
ذكور الهاشمية الثانوية	٢٥٣	سيدة البشار للروم الكاثوليك	٤٦٢			روضة الجيل / البيرة	١٥٠	كلية التمريض	١٨٢
ذكور رام الله الثانوية	١٩٠	الأردنية الثانوية	١٣٠						
بنات عزيز شاهين الثانوية	٤٥٦	الروم الأرثوذكس	٢١٩						
بنات رام الله الثانوية	٢٨٧	الإنجيلية الأسقفية	٣٧٣						
ذكور رام الله الابتدائية	٣٠٠	الثانوية الشرعية	٤٢						
ذكور رام الله الإعدادية	٥١٩								
المجموع	٤٧٥٥		٣٦١٩		٣٠٢٤		٦١٥		١٤٠٥

المصدر : بيانات غير منشورة ، سجلات مكتب تربية لواء رام الله / حكومة ووكالة والمعاهد ، ١٩٨٥ / ١٩٨٦ .

تطور التعليم والمدارس في قضاء رام الله :

عرف قضاء رام الله المدارس بمعناها المعروف اليوم في القرن الماضي ، فقد تأسست مدارس لأولاد الروم الأرثوذكس واللاتين في عين عريك ورام الله وجفنة والطيبة وعابود في عامي ١١٩٠ هـ و ١٢٧٥ هـ . وفي عام ١٢٩٢ هـ أقام البروتستانت لهم مدارس في جفنة والطيبة ورام الله وعابود .

وفي العهد البريطاني كان في قضاء رام الله في عام (١٩٣٠ / ١٩٣١) المدرسي (١٧) مدرسة للبنين في كل من : رام الله والبيرة وعابود وعطاده وبيتيين وبيتونيا وبير زيت ودير دبوان ودير غسانه وعين يبرود وكفر مالك ومزارع النوباني والمزرعة القبلية والمزرعة الشرقية وصفّاً وسلواد وسنجل ومدرسة بنات واحدة في رام الله .

وفي عام (١٩٣٦ / ١٩٣٧) المدرسي بلغ عددها (٢١) مدرسة للبنين وثلاث مدارس للبنات في كل من رام الله ودير دبوان .

وفي عام (١٩٤٢ / ١٩٤٣) المدرسي كان قضاء رام الله يضم خمس مدارس للبنات (رام الله مدرستان ، البيرة ، بيتونيا ، دير ديوان) وعشرين مدرسة للبنين ، وكانت مدرسة الطيبة في العام الدراسي المذكور مغلقة . وأما في إحصاء العام الدراسي (١٩٦٦ / ١٩٦٧) فكان :

أولاً :

عدد الطلاب ١٨٥٤١
عدد الطالبات ١٢٦٩٧

المجموع ٣١٢٣٨

ثانياً :

نسبة الطلبة المئوية إلى سكان اللواء ٢٣,٣
نسبة الطلاب المئوية إلى سكان اللواء ١٣,٨
نسبة الطالبات المئوية إلى سكان اللواء ٩,٥

ثالثاً : أ ـ

عدد مدارس البنين ٧٩
عدد مدارس البنات ٧٠
عدد المدارس المختلطة ١٦

المجموع ١٦٥

ب ـ	عدد رياض الأطفال	٢
	عدد المدارس الابتدائية ذكور	٤١
	عدد المدارس الابتدائية إناث	٤٨
	عدد المدارس الابتدائية المختلطة	٧
	مجموع المدارس الابتدائية	٩٨
جـ ـ	عدد المدارس الإعدادية ذكور	٢٦
	عدد المدارس الإعدادية إناث	١٥
	عدد المدارس الإعدادية المختلطة	٥
	مجموع المدارس الإعدادية	٤٦
د ـ	عدد المدارس الثانوية ذكور	١٠
	عدد المدارس الثانوية إناث	٤
	عدد المدارس الثانوية مختلطة	٢
	مجموع المدارس الثانوية	١٦
هـ ـ	معاهد معلمين	١
	معاهد معلمات	١
	مجموع معاهد المعلمين والمعلمات	٢

و - المعاهد الصناعية للذكور ١

ز - معاهد ذوي العاهات ١

رابعاً :

عدد طلاب المدن	٦٥٤٢	يعلمهم	٢٢٢	معلماً
عدد طلاب القرى	١١٩٩٩	يعلمهم	٩٣٦	معلماً
عدد طالبات المدن	٥٢٣٦	يعلمهن	٢٤٥	معلمة
عدد طالبات القرى	٧٤٦١	يعلمهن	٢٤٢	معلمة
مجموع الطلاب والمعلمين (ذكوراً وإناثاً)	٣١٢٣٨		١١٠٥	

وقد بلغ عدد مدارس القرى (١٣١) مدرسة ، منها (٦٣) مدرسة للبنين و (٥٧) مدرسة للبنات ، و (١١) مدرسة مختلطة[١] .

وأما إحصاء العام الدراسي ٨٥ / ١٩٨٦ فقد تم توضيحه في جدول (٤)[٢] والذي جاء على النحو التالي :

١ - بلغ المجموع الكلي لأعداد الطلاب والطالبات في جميع مراحل التعليم (٤٥٠٣٦) موزعين على رياض الأطفال (٢٦٠٠) ، المرحلة الابتدائية (٢٤٤٢٠) ، المرحلة الإعدادية (٨٠١٨) ، المرحلة الثانوية (٤٦١٠) ، مدارس وكالة الغوث (٣٠٣٤) ، كليات المجتمع (حكومية ووكالة) (٢١٧٢) ، وكلية التمريض العربية (١٨٢) .

٢ - ليس هناك إحصاء يحدد أعداد الطلاب الجامعيين من اللواء سواء في جامعات الضفة أو خارجها .

---

(١) المصدر : الدباغ ، جزء (٨) ، قسم (٢) ، ص ٢٢٩ - ٢٣٢

(٢) بيانات غير منشورة ، سجلات مكتب تربية لواء رام الله ومعاهد المعلمين والمعلمات ، ٨٥ / ١٩٨٦ ، والجدول من إعداد الباحث .

جدول ـ ٤ ـ أعداد الطلاب والطالبات في جميع المراحل التعليمية في لواء رام الله للعام الدراسي ٨٥ / ١٩٨٦ م

		المرحلة الابتدائية (٢٤٤٢٠ طالباً وطالبة)							المرحلة الاعدادية (٨٠١٨ طالباً وطالبة)				المرحلة الثانوية (٤٦١٠ طالباً وطالبة)					
	الصفوف	١ب	٢ب	٣ب	٤ب	٥ب	٦ب	مجموع	١ع	٢ع	٣ع	مجموع	١ث	٢ث أدبي	٢ث علمي	٣ث أدبي	٣ث علمي	مجموع
مدارس حكومية	ذكور	٢٠٨٥	١٨٨٣	٢٠٠٠	٢٠٩٤	٢٠٢٥	١٩٥١	١٢٠٢٨	١٧٥٧	١٣٦٢	١٠٦٦	٤١٨٥	٨٧٧	٥١٤	١٦١	٣٨٣	١٦٠	٢٠٩٥
	اناث	١٧٩٠	١٥٨٣	١٥٦٩	١٧٣٠	١٥٨٧	١٤٩٠	٩٧٤٩	١٢١٦	٩٦٢	٧١٧	٢٨٩٥	٧٧٥	٤٧١	٧٧	٢٨٦	٦٦	١٦٧٥
	مسلمون	٣٨٧٣	٣٤٦٥	٣٥٦٧	٣٨١٦	٣٦٠٣	٣٤٣٣	٢١٧٥٧	٢٩٥٢	٢٢٩٢	١٧٥٠	٦٩٩٤	١٦١٦	٩٥١	٢٣٧	٦٥١	٢٥٥	٣٦٨٠
	مسيحيون	٢	١	٢	٨	٩	٨	٣٠	٢١	٣٢	٣٣	٨٦	٣٦	٣٤	١	١٨	١	٩٠
مدارس أهلية	ذكور	٢٤٠	٢٠٣	٢٠٧	١٦٨	١٨٧	١٦٧	١١٧٢	١٤٩	١٣٥	١٠٤	٣٨٨	١١٩	٧١	٤٤	١٤٦	٥١	٤٣١
	اناث	٢٨١	٢٥٨	٢٤٥	٢٣٠	٢٢١	٢٢٦	١٤٦١	٢٠٥	١٩٥	١٥٠	٥٥٠	١٣٦	٨٦	٥١	٩٤	٤٢	٤٠٩
	مسلمون	٢١٨	٢٦٣	٢٤٥	٢٢١	١٨٩	١٦٦	١٤٠٢	١٤٦	١٤٢	١٠٤	٣٩٢	١١٨	٧٠	٥٢	١٣٥	٣٩	٤١٤
	مسيحيون	٢٠٣	١٤٨	٢٠٧	١٧٧	٢١٩	٢٢٧	١٢٣١	٢٠٨	١٨٨	١٥٠	٥٤٦	١٣٧	٨٧	٤٣	١٠٥	٥٤	٤٢٦

كليات المجتمع		رياض الأطفال ٢٦٠٠				كلية التمريض	المرحلة الإلزامية وكالة	الجامعات
(٢١٧٢ طالباً وطالبة)		(١)	(٢)	(٣)	مجموع	(١٨٢)		
٢٣٨	معلمات حكومية	٧٣٢	٤٥٥	١٨٠	١٣٦٧	(١٨٢)	(٣٠٣٤)	غير معروف
٦٥٣	معلمات وكالة	٦٧٢	٤٩٧	١٦٤	١٢٣٣			
٧٨١	معلمون وكالة	١٠٣٩	٨٢٢	٣٠٨	٢١٦٩			
٥٠٠	معلمون ومعلمات خاصة	٢٦٥	١٣٠	٣٦	٤٣١			

المصدر : بيانات غير منشورة ، سجلات مكتب تربية لواء رام الله ومعاهد المعلمين والمعلمات ، ٨٥ / ١٩٨٦

وأما جدول (٥)[١] فقد شمل على ما يلي :

١ ـ بلغ عدد المعلمين والمعلمات في المدارس الحكومية والأهلية (١٥٨١) ولم تتوفر إحصاءات عن عدد المعلمين والمعلمات لمدارس ومعاهد الوكالة والحكومة .

٢ ـ بلغت غرف التدريس والغرف التي تستعمل في غير التدريس (كمكتبات ، مختبرات ، مستودعات) (١٩١٦) . ولم تتوفر إحصاءات للمدارس والمعاهد الأخرى .

وأما عدد المدارس الحكومية فتم توضيحها على الخارطة[٢] وقد شملت على ما يلي :

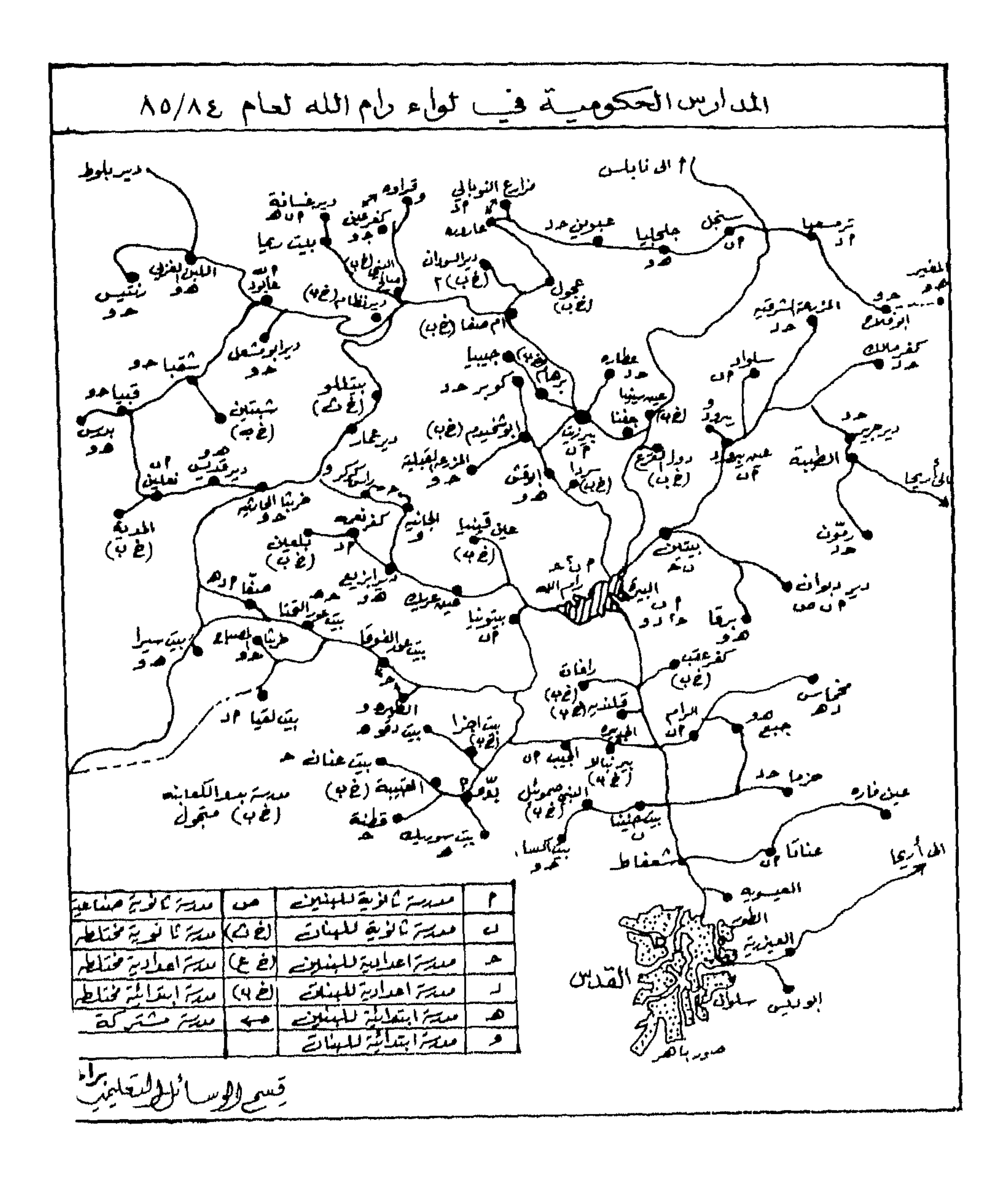
جدول ـ ٥ ـ أعداد المعلمين والمعلمات والأذنة والغرف في مدارس لواء رام الله للعام الدراسي ٨٥ / ١٩٨٦

المدارس	أعداد المعلمين	أعداد المعلمات	المجموع	غرف التدريس	غرف ذات استعمالات أخرى	المجموع
حكومية	٧١١	٥١٢	١٢٢٣	١٠٦٨	٤٣٣	١٥٠١
أهلية	١٠٦	٢٥٢	٣٥٨	٢٩٨	١١٧	٤١٥
المجموع	٨١٧	٧٦٤	١٥٨١	١٣٦٦	٥٥٠	١٩١٦

المصدر : بيانات غير منشورة ، سجلات مكتب تربية لواء رام الله ، ٨٥ / ١٩٨٦

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) مكتب تربية لواء رام الله ، قسم الوسائل التعليمية ، ٨٤ / ١٩٨٥



مدرسة ثانوية صناعية	ص	مدرسة ثانوية للبنين	م
مدرسة ثانوية مختلطة	(غ ث)	مدرسة ثانوية للبنات	ث
مدرسة اعدادية مختلطة	(غ ع)	مدرسة اعدادية للبنين	ع
مدرسة ابتدائية مختلطة	(غ ب)	مدرسة اعدادية للبنات	د
مدرسة مشتركة	ـهـ	مدرسة ابتدائية للبنين	هـ
		مدرسة ابتدائية للبنات	و

١ ـ	أعداد المدارس الثانوية (ذكوراً وإناثاً)	(٣٧)
٢ ـ	أعداد المدارس الإعدادية (ذكوراً وإناثاً)	(٤٤)
٣ ـ	أعداد المدارس الابتدائية (ذكوراً وإناثاً)	(٦٦)
٤ ـ	مدرسة صناعة دير دبوان (ذكور)	(١)
٥ ـ	المدرسة النموذجية / معهد معلمات (إناث)	(١)

وقد بلغت في مجموعها (١٤٩) مدرسة ، أما مدارس الوكالة والأهلية فلم تدخل بعد في هذا الإحصاء ، إلا أن الجدول (٣) يوضح أعدادها فقط في المدينتين وبدون اللواء . وتجدر الإشارة إلى أنه يتم الإشراف على هذه المدارس من قبل مكتب التربية والتعليم الذي يبلغ عدد موظفيه (٢٤) موظفاً فقط .

المؤسسات الصحية والحالة الصحية للسكان :

كانت رام الله والبيرة تعيش حياة بدائية في القرون الثلاثة السابقة للقرن الحالي ، وهي لا تختلف كثيراً عن البلاد في المشرق . فحالة السكان الصحية كانت سيئة حيث كانت تنتشر الأمراض الكثيرة ولم يتوفر الأطباء والمستشفيات أو المستوصفات ، بل لم تكن معروفة آنذاك ، وكان السكان يعتمدون على الوصفات العلاجية المتوارثة والمعتمدة على الخبرة مثل الكي والتدليك والتجبير . ورغم أن القدس كان يتوفر فيها عدد قليل من الأطباء وبعض المستشفيات لبعض الإرساليات الأجنبية ، إلا أنها كانت تبعد عن رام الله أكثر من ساعتين مشياً على الأقدام ، ولم يكن من السهل على المريض أن يقطعها ، علاوة على أن حالة السكان المادية لم تكن تسمح بتغطية نفقات العلاج .

وبقيت الحال كذلك إلى أن جاءت إلى رام الله راهبات ماريوسف عام ١٨٧٣ وافتتحن مستوصفاً يعالجن فيه الحالات المرضية البسيطة ، وقد قمن ولا يزلن بخدمات جليلة للسكان في هذا المجال . وأول طبيب عرفته رام الله جاءت به جماعة الفرندز في عام ١٨٨٣ ، حيث التحق طبيب ألماني للعمل مع هذه الجماعة ، وكان يتكلم العربية حيث قضى معظم حياته في عكا مع جالية ألمانية . وقد افتتح هذا الطبيب

عيادة في رام الله ، وأخذ يعالج أهالي البيرة والقرى المجاورة مجاناً حتى عام ١٨٨٩ ، حيث رحل عائداً إلى بلاده . وبعد ذلك بقيت رام الله بدون طبيب وبدأت الأمراض تنتشر ، خاصة الملاريا ورمد العيون فقررت جماعة الفرندز فتح عيادة وإحضار طبيب ليقوم بمعالجة السكان ، فاستحضروا في عام ١٨٩٠ طبيباً من لبنان اسمه الدكتور فيليب معلوف ، وقد خدم الدكتور معلوف أهالي رام الله وقراها كثيراً ، وكان العلاج والدواء مجانياً في تلك العيادة .

وفي عام ١٨٩٦ م فتح الفرندز مستشفى يتسع لسبعة أسرّة ، ولكن لم يتمكن الفرندز من مواصلة عملهم في ميدان الطب والعلاج لظروفهم المالية ولاستقالة الدكتور معلوف ، فأغلقوا المستشفى وركزوا اهتمامهم في ميدان التربية والتعليم . ومما لا شك فيه أن سكان رام الله كانوا أحسن حالاً صحياً من سكان القرى المجاورة ، غير أن الأعمال الطبية التي قامت بها جماعة الفرندز في رام الله نبهت الأهالي إلى زيادة الاعتناء بالصحة العامة والابتعاد عما يسبب الأمراض .

وفي عام ١٩٠٢ م ظهر وباء الكوليرا في مصر وانتقل إلى فلسطين وظهر في الخليل ويافا ، وكلفت الحكومة العثمانية الدكتور معلوف لمحاربة الكوليرا في باب الواد ، وبعد أن خفّ الوباء عاد الدكتور معلوف إلى رام الله ، وعمل في البلدية في تطعيم السكان ضد الكوليرا وضد الجدري (الأمراض الوبائية) . وبعد وفاة الدكتور معلوف استقدمت البلدية الدكتور ناصيف قعوار من الناصرة وعمل لمدة سنة وأكثر .

وفي أوائل هذا القرن افتتحت الإرسالية الإنجليزية البروتستنتية مستوصفاً في رام الله ، استحضرت طبيباً إنجليزياً ليقوم بالمعالجة في المستوصف ، وكان العلاج مجانياً وظل هذا المستوصف يقوم بخدماته مدة عشر سنوات . وفي عام ١٩٠٨ م تخرج الطبيب نقولا شحادة أو جريس من جامعة جون هوبكنز في أمريكا ، وكان أول طبيب يتخرج من أبناء رام الله ، ثم جاء إلى البلدة وافتتح عيادة فيها ولكن لمدة قصيرة حيث توظف وانتقل إلى جنين . وفي عام ١٩١٨ م افتتح الصيدلي فريد شطارة أول صيدلية في رام الله . وفي نفس العام افتتح الجيش البريطاني مستشفى للأمراض السارية ، وبعد سنتين نقلت إدارة هذا المستشفى إلى المسكوبية في القدس . وأسست

حكومة الانتداب (إثر نقل المستشفى) دائرة الصحة في رام الله . وكانت عبارة عن مستوصف يديره طبيب ويعاونه صيدلي وممرضة وممرض وموظف إداري . وكان السكان يؤمون هذا المستوصف للعلاج والدواء . كذلك أصبح من اختصاص دائرة الصحة مراقبة النظافة العامة وكل ما يتعلق بالأمور الصحية في البلدة . ويضاف إلى ذلك أن بعض الأطباء من خارج رام الله بدأوا بفتح عيادات خاصة بهم في رام الله . وظلت رام الله بدون مستشفى حتى منتصف هذا القرن ، ففي أثناء حرب ١٩٤٨ م افتتح مستشفى في مدرسة الفرندز للبنين تطوع للعلاج فيه أطباء مصريون . ولما انتهت الحرب مع اليهود واستقرت الأحوال ، أعادت الحكومة الأردنية فتح المستشفى القديم الذي كان مستشفى للجيش العثماني في الحرب العالمية الأولى .

أما المستشفى الذي يحق لأبناء رام الله أن يفخروا به والذي بنوه بأموالهم فهو المستشفى الجديد واسمه « مستشفى رام الله الأهلي » . وقد بدأت فكرة إنشاء هذا المستشفى في المهجر (أمريكا) حيث تشكلت لجنة في ١٩٤٢ م لجمع التبرعات لهذا المشروع الهام ، ثم عرفت هذه الجمعية فيما بعد باسم « جمعية مستشفى رام الله » وجمعت هذه اللجنة (٢٥٠٠٠) جنيهاً فلسطينياً ، وتم شراء قطعة الأرض ومساحتها ٢٦ دونماً لإقامة المستشفى عليها ، ولكن في عام ١٩٥٩ م نقلت ملكية المستشفى إلى « مؤسسة رام الله المسجّلة » وبدأ العمل في بناء المستشفى في ١٩٥٩ م وانتهى العمل به في عام ١٩٦١ م ، وافتتح المستشفى أبوابه لقبول المرضى في ٢٠ أيار ١٩٦٣ م . ومجموع غرف المستشفى ٧٥ غرفة وفيه عدة أقسام : الجراحة ، الباطنية ، التوليد ، ويشرف عليه أطباء مختصون[١] .

وعلى الرغم من السياسة التي تتبعها السلطات الإسرائيلية في تخفيض مستوى الخدمات العلاجية للمواطنين كماً ونوعاً في الأراضي المحتلة عامة ، وذلك لكي تجبرهم على التحول لمستشفياتها المكلفة جداً ، فإن مستشفى رام الله يعتبر أفضل مستشفيات الضفة الغربية ومن جميع الجوانب . ويعطي لنا جدول (٦) فكرة عن حالة الصحة في رام الله في عام ١٩٨٠ م .

---

(١) المعلومات الخاصة بالحالة الصحية والأطباء والمستشفيات مستقاه من أبو ريّا ، مصدر سابق .

جدول رقم - ٦ - الأطباء والمستشفيات والمستوصفات والممرضون والمختبرات في رام الله ١٩٨٠ م

١ -	عدد الأطباء الحكوميين	خمسة وثلاثون طبيباً
٢ -	عدد الأطباء الخصوصيين	عشرون طبيباً
٣ -	عدد الأطباء البيطريين الحكوميين	خمسة أطباء
٤ -	عدد أطباء الأسنان الخصوصيين	ستة أطباء
٥ -	قابلات قانونيات	ستة قابلات
٦ -	مستوصفات حكومية	ثلاثة مستوصفات
٧ -	مستوصفات خصوصية	ثلاثة مستوصفات
٨ -	صيدلية خاصة	إحدى عشرة
٩ -	مستشفيات حكومية	واحد
١٠ -	مستودعات أدوية خاصة	اثنان
١١ -	مصانع أدوية	اثنان
١٢ -	مختبرات خاصة	واحد
١٣ -	مختبر حكومة مركزي	واحد

المصدر : سجلات صحة لواء رام الله ، غير منشورة .

أهم النشاطات الاقتصادية (الزراعية ، الصناعية والتجارية) :

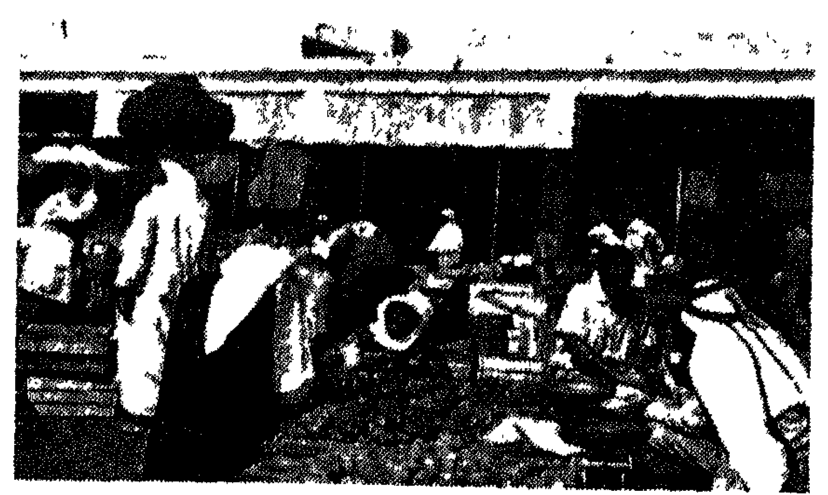
سبق وأن أشرنا أن عشيرة الحدادين التي استوطنت المدينة في نهاية القرن السادس عشر كانت تعمل في الزراعة (وبعض الروايات تقول أن صنعتهم الأصلية الحدادة) ، وكان لهم بساتين وكروم ، كما كانوا أصحاب إبل ومواشي ، فلما استقر راشد في خربة رام الله كان من المعقول جداً أن يتجه إلى ممارسة الزراعة وتربية الماشية ، وهي أمور لم تكن غريبة عليهم ، لذا بدأوا بقطع الأشجار الحرجيّة وتجهيز الأرض لفلاحتها . وكان أهل رام الله فلاحين مجتهدين ، فرام الله منطقة جبلية وجبالها وعرة ملأى بالصخور ، فالجهد الذي بذله أهلها في إعداد الجبال للزراعة والتشجير كان ولا شك عظيماً .

كان طبيعياً أن تقسّم الأراضي في خربة رام الله الأصلية بين أبناء راشد الخمسة ، حيث قسمت الأرض إلى خمسة أخماس بالتساوي ، ولم تكن مساحة هذه الأراضي

واسعة فإنها لم تكن تكفي أبناء رام الله عندما تكاثروا ، فأخذوا يشترون الأراضي من القرى المجاورة مثل البيرة وصردا وأبو قش والمزرعة الغربية وبتيونيا ورافات ، وهذه الأراضي المشتراة لم تكن محسوبة من ضمن أراضي البلدة الأصلية المقسمة إلى خمسة أخماس .

ويقول (الهيوغرانت) أن الأراضي المشتراة من القرى لم يكن لها (كواشين طابو) ، بل كانت « الحجج » كافية لإثبات ملكية الأراضي ، وكان أصحاب الأراضي الأصليين من القرى هم الذين يدفعون الضرائب عن هذه الأراضي ثم يعودون ويأخذون مادفعوه من الذين اشتروها من أهل رام الله . وكان أهل رام الله يزرعون أشجاراً مثمرة في الأراضي التي تقع حول البلدة ، أما الأراضي المشتراة من القرى فكانوا يزرعونها حبوباً[1] .

ولقد تكاثرت إحدى عشائر الحدادين (كما سبقت الإشارة) أكثر من باقي العشائر حتى أصبح عدد أفرادها أكثر من عدد أفراد العشائر الأربعة الأخرى مجتمعة ، ولذلك لم يعد خمس الأراضي من أراضي البلدة ، مع ما اشترته من أراضي القرى المجاورة يكفيها ، فاضطرت تلك العشيرة (حمولة الحدادة) إلى البحث عن وسائل أخرى للعيش بالإضافة إلى الزراعة ، فاتجهت نحو المهن مثل التجارة وصناعة البناء والسكفنة (صناعة الأحذية) والحياكة . أما باقي العشائر فظلّت تعمل بشكل عام في الزراعة .



(١) اليهوغرانت ، ص ١٩٢ ، مذكور في أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ١٠٨ .

وكان أهل رام الله يهتمون أكثر ما يهتمون بزراعة العنب والتين والزيتون ، فكانوا أولاً يزرعون العنب ، وعندما تهرم الشجرة يزرعون بدلاً منها شجرة تين ، وعندما تهرم شجرة التين يزرعون بدلاً منها شجر زيتون ، وهذه العملية ما زالت تحدث حتى الوقت الحاضر . وبناء على ذلك فإن شجر الزيتون الموجود حالياً حول رام الله هو حديث نسبياً ، وأن ما يقال من أن بعض أشجار الزيتون تعود إلى زمن الرومان لا صحة له كما يذكر لنا أبو ريّا[1] حيث حدّثه أحد معمري البلدة أنه يذكر الأراضي المشجرة اليوم زيتوناً (مثل منطقة خلّة العدس وشعب الضرس) وهي مزروعة بالعنب والتين ولم يكن هناك أثر للزيتون فيها في ذلك الوقت ، وبالفعل ما يزال في هذه الأماكن آثار من أشجار العنب حتى اليوم .

ويبدو أن فلاّحي رام الله كانوا أحسن حالاً وأكثر رفاء من فلاّحي القرى المجاورة ، حيث يذكر (Edward Robinson) عندما يصف رام الله وسكانها في عام ١٨٣٨ م أن مظهر القرية (رام الله) يدّل على سعة ورخاء أكثر من أية قرية زارها ، فبيوتها حديثة البناء ، مبنية بناء حسناً ، والحقول حول القرية خصبة ومستثمرة جيداً ، وهي تنتج الحبوب والزيتون والعنب والتين بكثرة[2] . وكانت عادة أهل رام الله أن « يعزّبوا »[3] في كرومهم في فصل الصيف في مواسم العنب والتين ، وأحياناً كانوا يستأجرون لحراسة كروم العنب نواطير من المغاربة ، فقد كان من عادة المغاربة الفقراء أن يحجّوا إلى مكة مشياً على الأقدام ، وكانوا في كل بلد يمرّون به يعملون أعمالاً بسيطة ويربحون بعض النقود لتمكّنهم من مواصلة السير إلى بلد ثان ، وهكذا حتى يصلوا إلى مكة . كذلك كان أهل رام الله يقيمون « عرشا » ، أو يبنون مناطير من حجر مسقوفة بالحطب والأعشاب الجافة وكانوا يسمّون منطاراً كهذا « قصراً » . وبعد الحرب العالمية الأولى صاروا يبنون لهم في كروم التين بيوتاً من الحجر والطين . والقصر أو البيت مؤلف من طابقين ، يستعمل الطابق الأرضي مخزناً

---

(١) أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ١٠٩ .

(٢) Robinson ، ص ٤٥٤ ، مذكور في أبو ريّا ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

(٣) يعزّبوا أي ينتقلوا من أماكن سكناهم الدائمة إلى مناطق الفلاحة والزراعة ويحلّوا فيها طيلة موسم جني المحصول .

مؤقتاً للمحصول إلى حين يتم نقله على ظهور الدواب إلى القرية ، أما الطابق العلوي فكان يستخدم للنوم والأكل والحراسة ، وجزء من هذا الطابق مكشوف (غير مسقوف) حيث يجري فيه تجفيف التين بواسطة حرارة الشمس .

ورغم أن الأغلبية الساحقة من أهالي رام الله القدماء يعتمدون في معيشتهم على الزراعة ، إلا أن قلّة منهم كانت تتاجر بالمحصولات الزراعية ، فكانوا يبيعون الفائض عن حاجتهم من التين المجفف (القطيّن) ، ومن زيت الزيتون ومن العنب والزبيب إلى الأديرة في القدس « المدينة » إذ كانت تربط الأديرة بسكان رام الله مودّة وعطف ، وذلك لاعتبارات دينية .

ومارس بعض من أهالي رام الله القدماء التجارة على شكل ما يعرف (بالخطرة) أو (الخطّارة) ، أي التجوال في طلب الرزق ، وبعضهم كان يذهب إلى نابلس يبيعون من حمولتهم ويشترون بها مما تشتهر به نابلس كالصابون مثلاً ويربحون ، ثم يغادرون نابلس إلى جنين والناصرة حيث يبيعون الصابون ويشترون مما تشتهر به هاتان المدينتان ، وهكذا ، ويذكر أبو ريّا أن أحد الخطّار حدثه أنه وصل إلى حلب في سوريا وهو يبيع ويشتري ويَربح ، وبعد حوالي ستة شهور عاد إلى رام الله وفي جيبه أربع ليرات ذهبية[١] .

وكذلك كان كثير من أهل رام الله القدماء يعملون فعلة (عمّال) في الطرق أو في البناء ، حيث عمل كثير منهم في بناء أديرة القدس وكنائسها بالاشتراك مع عمال من بيت لحم وبيت جالا . ويضاف إلى ذلك أن بعض أهل رام الله كانوا يعملون في بعض الصناعات البدائية ويمتهنون بعض المهن البسيطة ، فكانوا يعملون في صناعة الأحذية ، وكثيراً ما يصنعون « المداس » و « البلغة » ، ومنهم من امتهن حياكة القطن والصوف لصنع الملابس والعباءات الصوفية الخشنة ، ومنهم من عمل في التجارة إذ كانت هناك دكاكين بقالة وقصابة . والواقع أن بيع اللحوم في محلات خاصة هو حديث العهد نسبياً ، إذ تعوّد الناس أن يقسموا لحم الذبيحة ويبتاعوها قبل ذبحها .

---

(١) أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ١١٠ .

وقد مارست نساء رام الله بعض الصناعات البسيطة أهمها صناعة الفخار ، فكنّ يصنعن الجرار والمغاطيس ، والطوابين ، والأطباق من سيقان السنابل ، والتطريز .

وبقيت رام الله حتى أوائل القرن العشرين تعتمد على الزراعة ، وعلى بعض المهن البسيطة ، ولم تكن هناك هجرة إلى أمريكا لتؤثر على اقتصاد البلدة . ولما نشبت الحرب العالمية الأولى انقطعت الاتصالات مع أمريكا ، وبذلك انقطع العون المادي البسيط الذي كان يأتي البلدة من أبنائها المغتربين هناك ، وابتليت البلاد بالجراد الذي أكل الأخضر واليابس ، واضطر بعض الأهالي في رام الله إلى الرحيل عنها إلى شرقي الأردن سعياً وراء العمل .

والواقع أن أهل رام الله مرّوا بظروف صعبة في زمن الحرب العالمية الأولى ، ولكن ما كادت الحرب تنتهي ويدخل الإنجليز البلاد حتى طرأ تحوّل على أسلوب حياة رام الله ، وعلى طريقة معيشتهم ، فأخذت الهجرة إلى أمريكا تتسع ، وأخذت الأموال تتدفق على البلدة ، وبدأوا يفكرون باستثمار أموالهم . لقد كان موقع رام الله ومناخها يؤهلانها لأن تكون مركزاً للاصطياف ، فبدأوا ببناء البيوت ويؤجرونها في الصيف للمصطافين القادمين من يافا والساحل الفلسطيني ومناطق أخرى . إلا أن أهل البلدة شعروا بأن استغلال الأموال في البناء لم يكن عملاً تجارياً مربحاً ، فبدأوا باستثمار أموالهم في التعليم حيث وجدوا أن المتعلمين يستطيعون الالتحاق بالوظائف في الدوائر الحكومية ، وبذلك ارتفعت نسبة التعليم في البلدة وتلاها ارتفاع في نسبة التوظيف لأبنائها في حكومة الانتداب . ويضاف إلى ذلك أن أهل رام الله قد استثمروا أموالهم أيضاً (خاصة المغتربين العائدين منهم) في شراء الأراضي على الساحل وفي أريحا وبيسان لإنشاء المزارع والبيارات فيها .

وما كادت الحرب العالمية الثانية تنتهي حتى نشبت حرب ١٩٤٨ م بين العرب واليهود ، وما كادت الهدنة توقع في نفس السنة حتى أخذ أهالي رام الله يهاجرون إلى الولايات المتحدة بشكل واسع ، وكذلك حدث بعد حرب ١٩٦٧ م ، وهكذا لم يبق في رام الله اليوم من سكانها الأصليين إلا قلة تكاد تعادل ١٢ بالمئة[1] . وبانتقال معظم

(١) أبو ريّا ، مصدر سابق ، ص ١١٣ .

أهالي رام الله إلى أمريكا انتقل معهم نشاطهم الاقتصادي ، أما اقتصاد رام الله الحالي فقد تركز في أيدي اللاجئين . ولكن مما لا شك فيه أن اقتصاد رام الله اليوم تطور تطوراً كبيراً عما كان عليه في الماضي ، ففي مطلع القرن الحالي ١٩٠١ ـ ١٩٠٤ م كان في رام الله حوالي ٤٠ دكاناً ، منها عشرة دكاكين بقالة وثمانية اسكافية ، واثني عشر حائكاً وعدة قصابين ، ومحل واحد للصياغة وآخر لصياغة الفضة ، ومخزن للحبوب وبعض معاصر الزيت[١] . وفي صيف ١٩٥٣ م قامت بلدية رام الله بإحصاء المحلات التجارية فكانت حوالي المائتين ، وظهرت إلى الوجود محلات لم تكن معروفة من قبل مثل المعامل والمطابع ومحلات النوفوتيه والمقاهي والفنادق والسينما . وقام أبو ريّا في عام ١٩٧٣ م و ١٩٨٠ م (تحت الاحتلال) بإحصاء تجاري في المدينة تبين منه أنه في عام ١٩٧٣ م كان في المدينة ٦١٥ مؤسسة تجارية مرخصة بما فيها الشركات والمعامل والمحلات المختلفة ، أما في عام ١٩٨٠ م فكان فيها ما يقارب ٧٥٠ محلاً تجارياً مرخصاً ، ومحلات اليوم أكثر تخصصاً وتنوعاً من ذي قبل فقد ظهرت إلى الوجود سلع لم تكن معروفة من قبل مثل الأدوات الكهربائية والأجهزة المختلفة ، وقد تضمنتها النشرة الأخيرة الصادرة عن غرفة تجارة رام الله / البيرة بتاريخ ١٩٨٥/١٢/٢٢ م (إحصائية المحلات التجارية والشركات المرخصة) وقد بلغ عددها ١٠١١ مقسمة على خمس درجات[٢] .

وتعتبر المؤسسات التالية من أهم مظاهر النشاط الاقتصادي في رام الله :

الفنادق والمنتزهات : يوجد في رام الله عدد من الفنادق تستقبل الزوار والمصطافين في فصل الصيف ، ومن هذه الفنادق : فندق رام الله الكبير ، فندق رباح ، فندق ميامي ، وفندق قصر الحمراء الذي تملكه شركة مصايف رام الله ، وهي فنادق من الدرجة الأولى . ولم يواصل من هذه الفنادق دوره الذي أقيم من أجله سوى فندق رام الله الكبير ، وذلك بسبب اضمحلال الدور السياحي للمدينة ، كما أصبح كل

---

(١) الهيوغرانت ، ص ١٩٤ ـ ١٩٥ .

(٢) غرفة تجارة رام الله واللواء ، ١٩٨٥ م .

من فندق قصر الحمراء وفندق رباح سكناً لطلاب وطالبات جامعة بيرزيت (الأول للطلاب والثاني للطالبات) وكثيراً ما تحول هذان الفندقان إلى قاعات دراسة خلال فترات إغلاق الجامعة . وفي المدينة عدد من المتنزهات أشهرها منتزه نعوم ، وأجملها منتزه بلدية رام الله .

شركة مصايف رام الله المساهمة المحدودة : تأسست في عام ١٩٤٥ على أيدي مجموعة من الشبان وبرأسمال قدره مائة ألف دينار ، ومعظم المساهمين من أبناء رام الله ، أما غاية الشركة فهي استثمار أموالها بالطريقة التي تراها مناسبة لتعود عليها بالربح ، وتهتم الشركة بشكل خاص في تحسين وتنشيط وتشجيع الاصطياف في رام الله . وتستثمر الشركة أموالها حالياً في صناعة الفنادق وفي دور السينما وفي الأبنية ، وقد اشترت الشركة أرضاً لتقيم عليها ضواحي سكنية ومن ثم تبيع الوحدات السكنية فيها نقداً أو بالتقسيط .

شركة المياه : تأسست في عام ١٩٤٩ على يد مجلس بلدية رام الله ومجلس بلدية البيرة بالاشتراك مع شركة مصايف رام الله المحدودة وشركة تحسين البيرة . وأول ماقامت به الشركة هو إيصال المياه إلى رام الله والبيرة من عيون فاره . ولما رأت الشركة أن مياه عيون فارة غير كافية قامت بإيصال المياه من وادي عين قينيا إلى رام الله ، إلا أن ذلك لم يكن كافياً أيضاً . وهكذا تألفت شركة من بلديات رام الله والبيرة ، ودير دبوان والمواطنين ، لجرّ مياه عين سامية بالقرب من قرية كفر مالك ، وهنا تدخلت الحكومة الأردنية وعهدت إلى سلطة المصادر الطبيعية بتنفيذ المشروع . وفي عام ١٩٦١ صدر قانون يقضي بتنظيم مصلحة مياه محافظة القدس لمنطقة رام الله ، ويشرف على المصلحة حالياً بلديات رام الله والبيرة ودير دبوان وعضو واحد من مجلس محلي كفر مالك . والشركة هيئة ذات وجود معنوي ولها ميزانية خاصة بها ومستقلة عن البلديات .

شركة باصات رام الله والبيرة : تكاد هذه الشركة تسيطر على حركة النقل للسكان بين رام الله والقدس ، ورغم أن اسم الشركة لرام الله والبيرة إلا أن أهلها

لا يملكون منها إلا القليل إذ أن نصف أسهمها يملكه أفراد من الخليل . ولكن رغم ذلك فإن لهذه الشركة أثر اقتصادي هام في رام الله .

الغرفة التجارية : تأسست هذه الغرفة في المدينة عام ١٩٥٠ ، وقد أسسها تجار رام الله والقضاء ، وغايتها تسهيل الأعمال التجارية وتعريف التجار بما يجدّ في البيوت التجارية في مختلف الأقطار العربية والأجنبية . والغرفة هي الحكم النهائي في الخلافات بين التجار ، كما أنها تقوم بحمايتهم والدفاع عن مصالحهم ، وجميع أعضائها من التجار .

وإضافة إلى ماذكر أعلاه يوجد في المدينة عدد لابأس به من المعامل والشركات ، فمثلاً هناك معمل أوهانسيان لصنع الورق الصحي والكرتون . كما أن فيه قسم خاص للزينكوغراف وآخر للطباعة الفنية والعادية . وهناك مصانع معايعة التي تصنع جميع أنواع الأثاث والموبيليات الخشبية والحديدية ، وتقوم بتزويد المدارس والمستشفيات والفنادق وغيرها من المؤسسات بجميع ما يلزمها . وكذلك توجد مصانع السلفانا للشوكلاتة والحلويات التي تطورت وأصبحت واحدة من أكبر وأحدث المعامل في الشرق الأوسط . كما توجد معامل موبيليات رباح التي تقوم بصنع الموبيليات والأثاث للبيوت ، والتنجيد والكراسي الخيزران . وفي المدينة مصنعان للنسيج ومطبعتان ومعمل للصابون ومصنع للبلاستيك وآخر للألمنيوم والأدوات المنزلية ومصنع بلسم للأدوية ومصنع الإسفنج ومصنع للمواد الغذائية ومصنعان للباطون الجاهز ومعصرتان للزيتون إحداهما على أحدث طراز ومصنع للأعلاف وآخر للبسكوت .

وفي البيرة تطورت التجارة في بادئ الأمر وأقدم السكان عليها ، وأنشأوا شركة تجارية كبرى هي شركة النجاح ، وكان لها فرع في القدس ، إلا أن هذه الشركة واجهت مشكلات عديدة ولم يكتب لها النجاح . وقد جلبت نكبة ١٩٤٨ إلى البيرة عدداً من الرجال الذين قاموا بمشاريع تجارية صناعية وزراعية أهمها : المزرعة الذهبية ، شركة الزيوت وتقع إلى الجنوب من البلدة على طريق القدس نابلس . كذلك انتشرت صناعة الصابون ، وصناعة الدخان ، والحلويات والسكاكر .

والصناعات اليدوية والتطريز والألبسة التقليدية العربية والأصواف . وقد قامت بلدية البيرة بإنشاء مدينة صناعية إلى الشمال من المدينة وضمن حدود البلدية حيث تجمعت معظم ورش التجارة والحدادة ، الأسرة والكراسي ، البلاط ، الزيوت ، السكاكر والشوكلاته ، الخزن والفخار .

وتشتهر البيرة بأبنيتها الحديثة والمناخ الملائم والهواء النقي ، وتتوفر فيها معظم الخدمات الصحية والمؤهلات الصحية والبيئية . وقد كان لهذا الموقع على قمم الجبال عند التقاء عدة طرق رئيسية لها أهمية في مكانة المدينة وقدوم الناس إليها ، وخاصة من الأقطار المجاورة (قبل عام ١٩٦٧) ، وكان لحسن معاملة السكان للمصطافين أثر كبير في جذب المصطافين للمدينة ، وقد ساعد على الاصطياف حديقة بلدية البيرة الحديثة المجهزة بكل مايحتاجه المصطافون[١] . ولقد كان لشهرة هذه الحديقة أهمية كبيرة حيث كتبت مجلة العربي تصفها بأنها « أجمل حدائق الأردن »[٢] ولأهمية البيرة كمركز للاصطياف أقيم فيها مهرجان الاصطياف الأول في ١ / ٨ / ١٩٦٥

وبشكل عام يمكن القول أن الزراعة في رام الله والبيرة تأخرت بسبب هجرة أصحاب الأرض واعتمادهم على المزارعين ، إلا أن جميع الأوضاع والقيم المختلفة قد تغيرت في المدينة ، فتضاعف مستوى المعيشة للسكان . وارتفعت معه البنايات الحديثة لتأخذ مكان البيوت القديمة . وازدهرت التجارة ونمت ، فأصبحت المدينة تعج بمئات المحال التجارية الممتدة في وسط المدينة ، وتحولت الورش الصغيرة إلى مصانع كبيرة توزع إنتاجها على المدن المجاورة . ورغم أن الصناعة قد تطورت في رام الله والبيرة إلا أنها تعاني من كثير من المشكلات خاصة بعد الاحتلال ، ويمكن أن نلخص المشكلات التي تواجه الصناعة في الضفة الغربية بما يلي :

١ ـ تتعرض الصناعة المحلية إلى منافسة الصناعات الإسرائيلية ، وإلى منافسة المصنوعات المستوردة من الخارج والتي يتم تسويقها في الضفة الغربية .

---

(١) حماد ، مصدر سابق ، ص ٥٥
(٢) مجلة العربي ، العدد ٣٢ ، ١٩٦٣ ، ص ٧٥

٢ ـ ضيق السوق المحلية ومحدوديتها ، فالتسويق في إسرائيل ممنوع وفي الأردن ليس مسموحاً به إلا لأصناف محددة وفي أوقات معينة .

٣ ـ بعض الصناعات الأخرى الماثلة في إسرائيل مدعومة من قبل الحكومة وذلك من شأنه تخفيض تكاليف الإنتاج ، وبالتالي طرح المنتجات بأسعار أقل من أسعار التكلفة . وهذا الموقف يجهض أي مشروع صناعي عربي ليس في رام الله والبيرة فحسب بل في بقية الضفة الغربية . هذا علاوة على الضرائب الباهظة والمستمرة في الارتفاع .

ومن الجدير بالذكر ونحن نتكلم عن الحالة الاقتصادية أنه منذ عام ١٩٦٧ م ، أي منذ احتلال الإسرائيليين للضفة الغربية ، قل عدد العمال الزراعيين والصناعيين في البلاد . إذ أغراهم الإسرائيليون بالأجور المرتفعة ليعملوا في إسرائيل ، فكانت النتيجة أن عطّل أو قلل جزء كبير من المعامل في الضفة الغربية أعماله ، وقلّت حركة البناء والعمران عموماً في بادئ الأمر ، وكذلك أهملت الأراضي الزراعية فلم يعد من يعتني بها ، حتى أن طلاباً كثيرين وبعض الموظفين تركوا مدارسهم ووظائفهم ليعملوا في إسرائيل ، إلا أنه في الآونة الأخيرة انتعشت عملية العودة للأرض والعمل فيها ، وخاصة بعد أن خف سوق العمل في المصانع والمصالح الإسرائيلية ، وبما أن الاقتصاد الإسرائيلي هو اقتصاد حرب ، فالليرة الإسرائيلية سابقاً والشيكل حالياً في انخفاض مستمر ، مما سبب ويسبب غلاء فاحشاً في الأسعار ، ولهذا السبب يريد الناس ممن تكثر معهم العملة الإسرائيلية أن يتخلصوا منها ، فنشطت حركة البناء والعمران قليلاً . ويعمل حالياً في المدينة بنكان إسرائيليان ، ولكن التعامل معهما في غير المعاملات الرسمية قليل ، أما البنوك العربية الأربعة في المدينة فهي معطلة منذ ١٩٦٧ م .

النقود والأوزان والمكاييل والمقاييس المستخدمة في رام الله في عهود مختلفة :

مرت رام الله بأربعة عهود سياسية مختلفة : العهد التركي أو العثماني ، عهد الانتداب البريطاني ، العهد الأردني ، والاحتلال الإسرائيلي .

أولاً : في العهد التركي :

في عام ١٩٠٣ م كانت وحدة النقد هي « القرش » وكان هناك نوعان من القروش « القرش الصاغ » وبه تجري جميع المعاملات الرسمية كدفع الضرائب وغيرها ، و « القرش الشروق » الذي كان يستعمل في التجارة العادية في البيع والشراء ، وقيمة القرش الشروق أقل قليلاً من قيمة القرش صاغ بحوالي ٥ ـ ٦ بالمئة . ومن أجزاء القرش ما يلي : القرشين وهي قطعة فضية وكذلك نصف القرش البارة وكل ٤٠ بارة تساوي قرش . والسحتوت أقل من بارة ونصف ، والقبق وأصله عملة روسية ويساوي بارتين ، والمتليك ويساوي إثنتي عشرة بارة ونصف . والبشلك ويساوي ثلاثة قروش شروق أو قرشين ونصف صاغ . والوزري وهو يساوي بشكلين ، وكان النساء في رام الله تتحلى به بوضعه على غطاء الرأس . والمجيدي الفضة ويساوي عشرين قرشاً صاغاً أو ثلاثة وعشرين قرشاً شروقاً . والليرة « التركية الذهب » العثمانية وتساوي مئة قرش صاغ والليرة الفرنسية الذهب وتساوي مائة قرشاً شروقاً ، والليرة الإنجليزية الذهب وتساوي ماية وخمسة قروش شروقاً .

أما الأوزان في العهد التركي فكانت كما يلي :

الدرهم ويساوي ٢ ـ ٣ غرامات — الأوقية وتساوي ٦٦ ـ ٨٠ درهماً

الأقة وتساوي ٦ أوقيات — الرطل ويساوي ١٢ أوقية

والقنطار ويساوي ١٠٠ رطل

وكان مكيال الحبوب « الصاع » ويساوي خمسة أرطال . أما المقاييس فكان هناك الذراع وطوله ٢٧ إنشاً .

ثانياً : في العهود الأخرى :

أما النقود والمكاييل والمقاييس في العهود الأخرى فهي : عند دخول الإنجليز في عام ١٩١٧ م بطل التعامل بالعملة التركية وحلت محلها المصرية التي أتى بها الإنجليز وهي :

المليم أصغر وحدة نقد مصرية . القرش تعريفة أو نصف القرش (٥ مليمات)
القرش صاغ (١٠ مليمات) ، الخمسة قروش ، العشرة قروش
الريال المجيدي (٢٠ قرشاً) نصف الجنيه (٥٠ قرشاً)
الجنيه (١٠٠ قرش صاغ) . وكان هناك أوراق خمسة أو عشرة جنيهات .

وفي عهد الانتداب البريطاني في أواخر العشرينات من هذا القرن تغيرت العملة في فلسطين فسكبت عملة فلسطينية على غرار العملة المصرية إلا أن المليم أصبح ملاً وانتفى القرش والمجيدي . وبقي الناس يستعملون لقطع النقد الفلسطيني نفس الألفاظ التي كانوا يستخدمونها لقطع النقد المصري . وبعد ١٩٤٨ م (بقي شرقي الأردن يستعمل العملة الفلسطينية حتى عام ١٩٤٩ م) وأصبح الفلس أصغر وحدة نقدية .

وفي ظل الاحتلال استعمل الناس الليرة الإسرائيلية (١٠٠ آغورة) ، وفي الآونة الأخيرة استخدم الإسرائيليون لفظة « الشاقل » التوراتية بدلاً من ليرة وقيمته ١٠ ليرات إسرائيلية . وفي أواخر عهد الانتداب استخدم الكيلوغرام (١٠٠٠ غرام) للموازين وبقي مستخدماً حتى اليوم .

الوضع الاجتماعي في البيرة ورام الله :

العادات والتقاليد في البيرة[1] :

إن أهم ما يميز أهل البيرة هي العادات التي توارثوها أباً عن جد ، والتي أصبحت

(١) المعلومات المتعلقة بالعادات والتقاليد مأخوذة من كتاب حماد ، مصدر سابق ، ص ٧١ ـ ٧٣ .

جزءاً من حياتهم يتمسكون بها ويحافظون عليها حفاظهم على أرضهم . ولعل الصدق والصراحة من أهم صفات أهل البيرة ، ومن شيمهم التي يرعونها حق رعاية ويحافظون عليها المشاركة القلبية عند حدوث مصاب أو وفاة أو نكبة ، فما أن يحدث مصاب لبعضهم حتى يبادر الجميع ممن يعلمون بالمصيبة إلى تقديم فروض المؤاساة والتعزية من أجل تخفيف آلام أهل المصاب ، حيث يجتمع القادمون في المضافة أو في مكان المصاب للتخفيف عن أهل المصاب وإبداء الشعور الجميل بالتعاون والتكاتف وقت الشدائد . وعندما تحدث حالة وفاة يبادر الجيران والأصدقاء إلى أهل الفقيد يخبرونهم بأنهم « سيؤدبون » لهم[1] ، وغالباً ما ينال شرف التكريم أول من يبادر إلى الدعوة ، أما الداعي فلا يكون من عشيرة الفقيد .

أما تقاليد أهل البيرة في الأعراس ، فهناك تقاليد قديمة وأخرى حديثة ، فغالباً بعد أن تتم الخطبة ، يباشر أهل العروس بالتجهيز للعرس بشراء ما يلزم للعروس من مصاغ . وأثناء ذلك يحضر المأذون لكي يعقد عقد الفتاة شرعياً ، وعند إتمام تجهيز العروس يعينون يوم الزفاف ، وكان يسبق يوم الزفاف ثلاث ليال من الأفراح تبتدئ بحمل المشاعل إلى دار العريس ثم التوجه إلى مكان إقامة « السحجة » ، وتشرع النساء في نوع خاص من الأغاني والرقص ، وكانت النساء في هذا النوع من الرقص يقفن في صفين متقابلين إلى أن يلتقيا ثم يرتدّان إلى الخلف وهكذا ، إلى أن يأتي الرجال للقيام (بالسحجة) ، و (للسحجة) كما يذكر لنا الأستاذ محمد حماد أوزان وأنغام وحركات خاصة ويشعرها معنى بديع رائع ، ومن هذا الشعر ما يكون ترحيبياً ، ومنه ما يكون فخراً وإشادة بالأيام والمواقع ، ومنها ما يكون غرامياً يتخلله اللوم والعتاب . ولقد كان الناس (يسحجون) على ضوء من لهيب نبات جاف سريع الاشتعال ، وفي منتصف (السحجة) تجري استراحة قصيرة تقدم خلالها القهوة للضيوف والمشتركين . وقد كانت تقام أثناء (السحجة) فصول هزلية مضحكة ترتجل ارتجالاً . وبعد الانتهاء من السحجة كانت تقام الدبكة .

---

(١) يؤدبون لهم : أي يقومون بتقديم مأدب الطعام لأهل الفقيد وعشيرته في ذلك اليوم .

وفي يوم الزفاف يسير الأصحاب والأصدقاء إلى بيت العريس حيث يحلق الحلاق له ولأصحابه وأقربائه ويعطرهم وهم يغنون ويرقصون ، وبعد ذلك يركب العريس على فرس (حصان) ثم يسيرون به بين الأغاني والأهازيج التي كانت تتخللها الزغاريد ، إلى أن يصلوا به إلى نبع الماء قرب الجامع ويتوقفون قليلاً ثم يعودون بالعريس إلى المضافة ، وفي منتصف الطريق كانوا يسلمونه إلى النساء ليرقصن أمامه ثم تزفه النساء بدورها . بينما يتقدم الرجال في غنائهم ورقصهم إلى أن يصلوا المضافة . وعلى أبواب المضافة كان ينزل العريس حيث تقدم القهوة وحيث يبقى أقرباؤه وأصدقاؤه لتناول (المنسف) وتقديم النقوط[١] . وبعد الانتهاء من النقوط كان أقرباء العريس يسيرون إلى بيت أهل العروس حيث كانوا يركبونها على الفرس ويسيرون بها إلى بيت عريسها . وفي بيتها يقدم للعروس النقوط . وفي صبيحة اليوم التالي يقوم أهل العروس وأقرباؤها إلى بيت العريس للمباركة وتقديم النقوط أيضاً .

ومن عادات أهل البيرة أيضاً تقديم كل معونة لمن يقدم على البناء ، حيث كانوا يقدمون له العون في قطع الحجارة ، وكانوا يساعدونه رجالاً ونساء ، وكانوا يجتمعون يوم عقد البناء (العقد هو سقف البناء) لمساعدته . وكان الرجال يقفون في صف طويل تحمل العقاد لتقديه لمعلم البناء والنساء تنقل الماء ، والرجال يغنون وكذلك النساء . وعند انتهاء عقد البناء تقدم النساء المناسف للرجال الذين قاموا بواجبهم نحو صاحب البناء .



(١) النقوط : هو مبلغ من المال يقدمه أهل وأصدقاء العريس وهو نوع من العون المادي للعريس حيث أنه ينفق أموالاً كثيرة في سبيل العرس والزفاف . وهي عادة تكاد تكون مألوفة لدى معظم سكان فلسطين خاصة في المناطق الريفية .

ويضاف إلى ماسبق من عادات وصفات إنجاد المستغيث ومطاردة المعتدي ، وعفة أبناء البيرة وطهرهم ومحافظتهم على الشرف ، وإخلاصهم في الزواج وفي التعامل مع الأهل والأصدقاء .

العادات والتقاليد في رام الله[1] :

إن من أهم الصفات عند أهل رام الله هي حبّهم للتعاون مع بعضهم بعضاً ، وحبهم لتقليد بعضهم بعضاً ، واجتهادهم وحبهم للعمل وإتقانه . فمن حيث التعاون فإن الظروف التي مرّت بها رام الله فرضت على أهلها التعاون والتكتل ، خاصة وأنهم تربطهم روابط الدم والجوار والمصلحة الواحدة . وبما أن رام الله كانت في أغلب عهودها قرية زراعية فإن التعاون كان يظهر على أشده في أعمالهم الزراعية . ففي موسم « الحصيدة » وفي موسم لقاط التين وعند قطف الزيتون « الجداد » كانوا لا يتوانون عن مساعدة بعضهم بعضاً ، وعندما يتعدى غريب على أشجار أو مزروعات القرية كان أهلها يتكتلون ويردّون المعتدي . ومثل أهل البيرة ، فعند « عقد » البيوت كانوا يسرعون لمعاونة صاحب العقد ، وفي الأعراس كانوا ينقطون العريس والعروس ، وما النقوط إلا شكل من أشكال التعاون . وفي المآتم كانوا يخرجون الطعام لعائلة الفقيد ولا يكلفونهم بشيء .

أما من حيث حب أهل رام الله للتقليد فقد ظهر ذلك واضحاً حيث أن بناء البيوت في العشرينات من هذا القرن وشراء الأراضي وتعليم أبنائهم وفي الهجرة إلى الخارج ، كلها أمور اكتسبها أبناء رام الله من بعضهم بعضاً .

أما عن اجتهادهم وحبهم للعمل وإتقانهم له ، فإن نظرة إلى الجبال المزروعة تيناً وزيتوناً وعنباً ، والمحيطة برام الله تبين مدى ذلك ، وكان اجتهادهم وحبهم للعمل ميزة أساسية لهم حيث كانت عوناً لهم في الحصول على العديد من الوظائف أثناء فترة الانتداب البريطاني .

---

(١) المعلومات المتعلقة بالعادات والتقاليد في رام الله مأخوذة من كتاب أبو ريّا ، مصدر سبق ذكره .

ويمكن أن نستعرض أهم مظاهر الحياة الاجتماعية عند أهل رام الله بما يلي :



١ ـ المضافة : وهي من أبرز مظاهر الحياة في القرية ، وهي ظاهرة تشترك فيها معظم القرى الفلسطينية ولا تخلو منها قرية . وقد كانت في بادئ الأمر مضافة واحدة اشترك في بنائها جميع أهل البلدة ، بنوها غرفة واسعة بجانب مقام « الخليل » إلى الغرب منه قليلاً . ولما نما عدد السكان وكبرت الحمائل أصبح لكل حامولة مضافة خاصة بها وهجرت المضافة الأصلية للبلدة . وللمضافة وظيفتان : الأولى استقبال الضيوف والغرباء ، والثانية لاستعمالها كأفضل مكان يجتمع فيه أبناء القرية أو الحمولة خاصة وأن الأندية والمقاهي لم تكن معروفة في القرى بعد . وفي أحيان كثيرة كانت المضافة ملجأ للمسافرين الذين تغيب عليهم الشمس وهي في القرية أو بالقرب منها ، إذ لا يستطيعون متابعة سيرهم لهبوط الظلام ، فكانوا يأتون إلى

المضافة حيث يقدم لهم الطعام وينامون حتى الصباح . وكان أكثر الأوقات التي يؤم فيها القرويون المضافة في ليالي الشتاء الطويلة ، وذلك لقلة أعمالهم في ذلك الفصل من السنة ، فكانوا يسهرون فيها ويناقشون مشاكلهم الخاصة ومشاكل القرية . وفي بعض الأحيان كان المجتمعون يستمعون إلى شاعر وهو ينشد الشعر أو يسرد القصص . وكان على أهل القرية تقديم ما يلزم المضافة من أثاث ومن طعام وشراب .

٢ ـ **طعام أهل رام الله** : يمكن أن نذكر أهم المأكولات التي كان يستعملها أهل رام الله . وهي تعتمد بشكل رئيسي على القمح ، الزيت ، التين المجفف (القطين) والزبيب ، والعدس والفول وهي مواد غذائية أساسية لأهل البلدة القدماء ، أما اللحوم ففي الأعياد وفي أيام الآحاد . ومن الأطعمة : الفريكة ، الكشك (لبن مجمد شديد الصلابة) ، الرقاق وهو عبارة عن عجينة تقطع قطع صغيرة رقيقة وتلقى في شوربة العدس وتطهى على النار ، والمفتول وهو عبارة عن برغل مصنوع من دقيق القمح ، والمسخن بالطابون ، وأشهر المأكولات بلا منازع هي المنسف . أما الخبز فكان معظمه يخبز في الطابون .

٣ ـ **المسكن :**

كانت مساكن أهل رام الله في بادئ الأمر (سقايف) مبنية من حجارة غير مصقولة أو مهذبة ، وكانت تسقف عادة بعيدان الحطب الغليظة ، وفوق العيدان يوضع نوع من التراب أبيض اللون يسمى (حوّر) بشكل كثيف ومرصوص لمنع تسرب الماء في الشتاء ، وكانوا يستخدمون ما يسمى بـ (الدحدال) أو المدحلة الحجرية لضغط التراب ليتماسك مع الحطب ومع بعضه بعضاً لمنع التسرب . وأما الحيطان من الداخل فكانت مطلية بالتراب . وبمرور الوقت تحسنت أحوال السكان وبدؤوا استخدام الأحجار المهذبة المصقولة والشيد في البناء ويسقفونها بالتراب .

٤ ـ **الأعياد الدينية** : لم يكن عيد الميلاد معروفاً لأهل رام الله قديماً لأنه عيد غربي أدخله المبشرون الغربيون ، ونظراً لازدياد الطوائف الغربية في رام الله ، فقد قرر المجلس البلدي في عام ١٩٥٣ جعل عيد الميلاد الغربي وعيد الفصح الشرقي أعياداً عامة لجميع أهل البلدة على اختلاف طوائفهم ، ورأى المجلس أن تتم إجراءات المعايدة

والتهنئة بالعيد في دار البلدية . ومن الأعياد الأخرى المعروفة في رام الله عيد الغطاس أي عيد عماد السيد المسيح ، حيث كانت العادة وما تزال أن يطوف الكاهن على البيوت ويرش الماء المقدس فيها ، ويلقي أصحاب البيت في آنية من النحاس يحملها مرافق الكاهن ما تجود به أنفسهم من نقود . وكذلك عيد البربارة حيث أن هذا العيد هو إيذان ببدء الشتاء ، والعادة فيه أن يسلق الناس قمحاً يضيفون إليه السكر والزبيب ، وبعد أن ينضج القمح يسكبونه في صحون ويرشّون عليه مسحوق الجوز أو بعض الصنوبر واللوز والبندق . ومن الأعياد أيضاً سبت العازر وأحد الشعانين حيث يجتمع الأطفال على شكل جماعات صغيرة ، وكل جماعة تكتب على ورقة كبيرة مزينة بالرسوم والأشكال المختلفة قصة إحياء السيد المسيح لإليعازر في قالب شعري ، ثم يطوفون على البيوت في منتصف ليلة السبت منشدين الأناشيد الدينية الخاصة بهذه المناسبة . وفي اليوم التالي يحتفل الناس بأحد الشعانين وهي ذكرى دخول السيد المسيح إلى القدس وخروج الناس لملاقاته . وفي هذا اليوم يذهب الأطفال إلى الكنيسة حاملين (شعانين) أي أغصاناً من الزيتون أو من النخيل مزينة بالورود . ومن الأعياد الأخرى سبت النور وعيد الفصح حيث تبعث رام الله بعض الشبان لإحضار النور المقدس من كنيسة القيامة في القدس ، وقديماً كانوا يذهبون بالعربات أو ركوباً على الخيل لعدم توفر السيارة . وبعد أن يأتي الشباب بالنور من القدس في فانوس زجاجي ، يكون الناس قد تجمعوا في أول البلدة لاستقبال الشباب ، حيث يضيء الكهنة والناس شموعهم بالنور المقدس ويسيرون عائدين إلى الكنيسة يرتلون ترانيمهم الدينية . وفي منتصف الليلة التالية يذهب الناس إلى الكنيسة ليحضروا (الهجمة) أي ذكرى قيامة السيد المسيح من الموت ، وبعد القداس يذهب الرجال ويقدمون التهاني بالعيد إلى رئيس الكهنة ، وفي الصباح يقدم الناس التهاني لبعضهم بعضاً . ومن الأعياد الأخرى عيد التجلي وهو ذكرى تجلي السيد المسيح على جبل (تابور) وموعده في أواخر الصيف .

٥ ـ عادات الزواج في رام الله : تمر عملية الزواج بثلاثة مراحل ، الطلبة ثم الخطبة ثم الزواج . وفي المرحلة الأولى يتم الاتفاق بين الأسرتين ، وفي المرحلة الثانية

يتم تحديد يوم الخطبة ، وفي هذا اليوم تحمل النساء على رؤوسهن أطباقاً من القش عليها السكر والسجائر ، وبعض الثياب والمجوهرات التي يقدمها العريس مبدئياً للعروس ويسير الجميع يتقدمهم الكاهن إلى بيت والد العروس ، وهناك تتم صلاة قصيرة يبارك فيها الكاهن الخطبة ويقدم والد العريس صرّة من النقود لوالد العروس ، وبعد الانتهاء من هذه المراسيم يقوم الشباب بتقديم الحلويات للمدعوين .
وفي المرحلة الثالثة كما يذكر لنا الأستاذ أبو ريّا ، يتم شراء ما يلزم العروس من ثياب ومجوهرات بالإضافة إلى ثوب الأم والخال والثياب لعائلة العريس المقربين ، وقبل موعد العرس بأسبوع تقيم عائلة العريس السهرات للرجال يغنون فيها ، وبعض الأحيان يأتون بالشاعر ليعزف لهم على الربابة ويلقي بعض الشعر أو القصص الشعبية . وفي ليلة العرس تجبل النساء الحنّاء ويذهبن إلى بيت العروس لكي تحنّي العروس . وفي يوم العرس بعد تناول طعام الغداء يأتي الحلاق لقص شعر العريس وأصحابه . ثم يتوجه رجال الحمولة (عائلة العريس) إلى الكنيسة حيث يتركون العريس في ساحتها ويذهبون إلى بيت العروس لإحضارها لتدخل مع العريس الذي ينتظرها في الكنيسة . وبعد إجراء مراسيم الإكليل في الكنيسة يذهب الناس إلى بيت العريس ، وعند باب البيت تعطى العروس ورقة خضراء تلصقها على الباب لأن الخضرة رمز الحياة . وقبيل غروب الشمس يقوم الشباب بـ (زفة) العريس من المضافة إلى بيته حيث تأخذ النساء بالرقص والغناء . وفي اليوم التالي يأتي أهل العروس لكي (ينقطوا) ابنتهم ثم يتوافد الناس من عائلة العريس (وحمولته) لتقديم النقوط والمباركة .



الجمعيات والنوادي في رام الله والبيرة :

الجمعيات والنوادي في البيرة :

بدأت أول جمعية في البيرة في عام ١٩٢٠ ولكنها لم تستمر في عملها لفترة طويلة . وبعد عشرة أعوام بدأ بعض أهل البيرة بتأسيس نادي شباب البيرة ، الذي قام بنشاط واسع في خدمة أهل البلدة وأسهم في تشجيع الحركة الثقافية والعلمية ، ومضى في تأدية رسالته العلمية والرياضية ، ولكنه لم يستمر طويلاً . وفي عام ١٩٤٢ تأسس في البيرة نادي الثقافة العربي وكون عدة لجان رياضية وثقافية ومجموعة كشفية إلا أن نشاط هذا النادي توقف في عام ١٩٥٨ ولكن المجموعة الكشفية استمرت في عملها .

وفي عام ١٩٦٥ تأسست في البيرة جمعية إنعاش الأسرة[١] ومن أهم أهدافها :

رفع مستوى المرأة اجتماعياً وثقافياً وتأهيل الفتيات وإيجاد المراكز المهنية لتدريبهن على مختلف المهارات ، وتشجيع المهن اليدوية والصناعات الريفية من خلال المشاريع الإنتاجية التي تؤمن مورداً ثابتاً للجمعية . ومساعدة المحتاجين غير القادرين على إعالة أنفسهم وعائلاتهم ، ومساعدة الطلاب الذين لا تمكنهم ظروفهم المادية من استكمال دراستهم ، وإحياء التراث الشعبي الفلسطيني وحفظه عن التحوير والسرقة والضياع .

وتعمل في الجمعية ٧٦ موظفة وموظفاً تعتمد عليهم الجمعية في كل أعمالها ، وفي الجمعية ٣٠٠ فتاة يتلقين تدريبهن في المراكز المهنية المختلفة ، وفيها العديد من المصانع والمشاغل الصغيرة التي تتمكن من تغطية إنتاجها بما يعادل ٦٠ ٪ من نفقاتها . وللجمعية روضة أطفال وحضانة للصغار يبلغ عدد الأطفال فيها ٢٠٠ طفلاً وطفلة ، وللجمعية مكتبة تضم (٥٠٠٠) كتاباً ولها مراكز لمحو الأمية منتشرة في القرى عدا المركز الرئيسي في البيرة . وتساعد الجمعية ٢٧٩ طالباً جامعياً داخل الأرض المحتلة وخارجها و ٦٥٠ عائلة متضررة من أيتام وأبناء شهداء ومعتقلين .

---

(١) المعلومات الخاصة بهذه الجمعية مستقاة من بيان ١٩٨٣/١٩٨٤ لجمعية إنعاش الأسرة ، البيرة .

يضاف إلى ماسبق أن الجمعية أقامت منزلاً للأيتام وأطفال الشهداء والمعتقلين يتسع لـ ١٥٠ طفلة وفتاة من عمر سنة وحتى ٢٢ سنة . وتؤمن لهم المأكل والمسكن والتعليم والمعالجة ، وتصدر مجلة باسم (التراث والمجتمع) مجلة فصلية تعني بالدراسات الاجتماعية والتراث الشعبي . كما أنشأت متحفاً خاصاً في مبناها يشمل على الكثير من جوانب الحياة الشعبية الفلسطينية ، وعلى المواد والأدوات والملابس التراثية القديمة . وأقامت ثلاثة مهرجانات في ١٩٧٥ و ١٩٧٨ و ١٩٧٩ خاصة بالفلكلور الفلسطيني (الزجل ، العرس ، الاحتفال باليوم العالمي للطفل) ، ويعود الفضل في نجاحها لحكمة وتعاون هيئتها الإدارية وتعاون أبناء البلدة في الداخل والخارج .



وفي مطلع عام ١٩٦٠ تأسس في البيرة مركز اجتماعي للشباب في مخيم الأمعري (أحد مخيمات اللاجئين التابع لوكالة الغوث الدولية) ومنذ ذلك الوقت والمركز يقوم بخدمات ثقافية واجتماعية ورياضية لأبناء المخيم .

النوادي والجمعيات في رام الله[1] :

إن أول جمعية تأسست في رام الله هي جمعية شبان رام الله في عام ١٩١٤ ، إلا أنها توقفت عن العمل في عام ١٩٤٨ . وتأسست في عام ١٩٢٧ جمعية رعاية الطفل وكان لها نشاطات كثيرة في مجال الأطفال ، وهي اليوم تشرف على روضة أطفال تضم ٢٧ طفلاً وتدير مركزاً لمحو الأمية . وفي عام ١٩٣٠ تأسست سريّة رام الله الأولى للكشافة تقوم بأعمال الكشافة وإلى جانب ذلك شكلت فرقة الفنون الشعبية التي أحيت عدة مهرجانات شعبية في رام الله . وفي عام ١٩٣٩ تأسست جمعية الاتحاد النسائي غايتها مساعدة الفقراء والمحتاجين ، وأبرز خدماتها بالإضافة إلى تعليم الفتيات الخياطة ، هو إدارة ملجأ للعجزة من النساء تنزل فيه ٢٠ امرأة . وتأسس في عام ١٩٢٤ النادي الأرثوذكسي الذي توقف العمل فيه ثم عاود نشاطه من جديد في عام ١٩٦٨ ، وله نشاطات مختلفة حيث يقوم بتنظيم المحاضرات العامة ، والنشاطات الرياضية والرحلات ، وسوف نفصل بعض الشيء في نشاطات جمعية النهضة النسائية كمثال على نشاطات الجمعيات الأخرى .

جمعية النهضة النسائية[1] : تعتبر من أقدم الجمعيات النسائية ، فقد بدأت أعمالها منذ عام ١٩٢٤ على عاتق مؤسستها السيدة بديعة الخوري سلامة ونفر آخر من سيدات رام الله بهدف رفع مستوى المرأة وترقية الفتاة وعمل الخير العام بقدر استطاعتها . وفعلاً خلال هذ المرحلة الزمنية الطويلة تحملت مسؤوليتها على خير وجه وفي أكثر من ظرف صعب . وأما نشاطاتها الحالية فتقوم على التأهيل المهني حيث تعقد دورات تأهيل مهني للفتيات (نسيج ، تطريز) ومكافحة الأمية ومراكز

---

(١) المعلومات الخاصة بالنوادي والجمعيات في رام الله مستقاه من كتاب أبو ريّا ، مصدر سابق .

التغذية وهدفه حماية الطفل من سوء التغذية وينتفع منه (١٥٠) طفلاً يومياً ، وتقديم المساعدات النقدية وأنشأت العيادة الطبية التي تأسست عام (١٩٤٠) وتقوم برعاية المعوقين منذ عام (٨١/٨٠) وفيها حالياً (٤٦) طالباً وطالبة .

وأما مشاريعها وطموحاتها المستقبلية فهي إتمام بناء مشروع مركز المتخلفين عقلياً ، والمشاركة في مركز تأهيل المعلمات للمتخلفين عقلياً ، وزيادة عدد المنح الجامعية والدراسية ، وتأسيس مصنع لتشغيل الأيدي العاملة وتكوين دخل ثابت للجمعية ، وإنشاء روضة أطفال نموذجية في مبناها القديم ، وتوسيع مكتبة الألعاب وتطويرها وإيجاد ملجأ لإيواء العجزة والمسنين ، وتطوير مركز المعوقين بحيث يضم قسماً داخلياً لأطفال الضفة والقطاع بحيث يشمل على مراكز تدريب لتأمين حياة المعوقين .

المصدر : نشرة عن جمعية النهضة النسائية برام الله ، ص ٤٥ ـ ٥٠ ، تحقيق وليد سالم .

الفصل الرابع

المدينة وإقليمها وأثر الاحتلال

العلاقة بين المدينة وإقليمها :

نظراً لكون (رام الله والبيرة) مركزاً للواء رام الله ، فقد استأثرت بنصيب وافر من مراكز الخدمات الإدارية والتعليمية والصحية والاجتماعية والاقتصادية . فجذبت إليها سكان القرى المجاورة وذلك للاستفادة مما فيها من خدمات وتسهيلات مختلفة . ففي المجال التعليمي يؤمها طلاب وطالبات كليات المجتمع من القرى المجاورة ، وحتى بداية السبعينات وهي تستقبل طلاب المرحلة الثانوية لاسيما طلاب الفرع العلمي ، إلا أن فتح الصفوف الثانوية وبعض الصفوف العلمية في مدارس القرى الكبيرة وفي مختلف مناطق اللواء ، قلل من تلقي أبناء القرى تعليمهم في مدارس المدينة ، ولكن نظراً لما تتميز به بعض المؤسسات التعليمية كجمعية إنعاش الأسرة ، وكلية التمريض والمدرسة الشرعية في البيرة ومعهد ابن سينا في رام الله ، وكذلك المدارس الخاصة ، ورياض الأطفال في المدينتين ، أبقى الاعتماد عليها في النواحي التعليمية إذ تستقبل الأولى بنات اللواء للتخصص في النواحي المهنية (كالخياطة ، التجميل .... إلخ) أما الثانية فتتخصص فيها الطالبات والطلاب في نواحي التمريض وأعمال المختبرات أو طلباً للتعليم الديني المتخصص . وأما بالنسبة للثالثة فرغم أقساطها العالية ، إلا أن المغتربين وذوي الدخل المرتفع يرسلون أبناءهم إليها ، إما لأنهم لا يجيدون التعلم باللغة العربية ، وبعض هذه المدارس فيها أقسام لتعليم من لا يجيدون العربية ، وإما لكون السلطات الإسرائيلية لا تجيز لهؤلاء التعلم في المدارس الحكومية ، وفئة ثالثة ترسل أبناءها لهذه المدارس كي يؤسسوا تأسيساً قوياً في اللغات الأجنبية (الإنجليزية والفرنسية) . وهناك فئة كبيرة من هؤلاء جميعاً يرسلون أبناءهم لهذه المدارس الخاصة

كي يجنبوا أبناءهم مما تتعرض له المدارس الحكومية من عدم انتظام في الدراسة وتعرضها للإغلاق بين حين وآخر ، أو لأن هذه المدارس جذبت إليها المعلمين الأكفاء وقد ترتب على هذا زيادة الوضع التعليمي سوءاً في المدارس الحكومية .

أما من **الناحية الصحية** : فوجود مستشفى رام الله الجديد الذي يؤمه مرضى اللواء المؤمّنين صحياً ، وأما غير المؤمّنين فيفضلون المعالجة في مستشفى المقاصد الخيرية الإسلامية ، والفرنساوي بالقدس ، حيث التكلفة مساوية لتكلفة المستشفيات الحكومية تقريباً ، بينما مستوى المعالجة والرعاية فيها أفضل . كما يوجد في رام الله والبيرة عيادتان حكوميتان أحدهما في رام الله والثانية في البيرة ، ويقدمان خدماتها أيضاً للمرضى المؤمّنين ، إضافة لوجود العدد الكبير من عيادات الأطباء من ذوي التخصصات المختلفة وكذلك الصيدليات والمختبرات الطبية ومصوري الأشعة ، هذا بالإضافة لما تقدمه المراكز الصحية الحكومية في رام الله والبيرة لقرى اللواء ؛ وذلك بإجراء الجولات التفتيشية على العيادات والمدارس القروية والقيام بحملات التطعيم ضد الأمراض التي قد تصيب الناس أو حيواناتهم ، هذا وقد جذبت القرى أخيراً عدداً من أطباء رام الله والبيرة (خاصة المبتدئين منهم) حيث فتحوا لهم عيادات مكونة من طبيب أو فريق من الأطباء مع صيدلية ، وذلك تسهيلاً على أهل القرى ، وكسباً لهم حيث لا مجال لهم في المدينة .

وأما في **المجال الاجتماعي** : فما قيل عن الناحية الصحية يقال عن المجال الاجتماعي ، حيث تقدم مديرية الشؤون الاجتماعية خدماتها لقرى اللواء ، وذلك بالإشراف على الأندية (الرياضية والاجتماعية والثقافية) الموجودة فيها ، وتقدم خدماتها للمحتاجين وذوي الحالات الاجتماعية كالمعوقين ، كما تقوم بالتوقيع على عقود المشاريع التطويرية التي تقوم بها القرى بمشاركة الجمعيات الخيرية أو جمعية الإغاثة الكاثوليكية وغيرها ، كمد شبكات المياه والطرق أو إصلاح الأراضي الزراعية وما إلى ذلك .

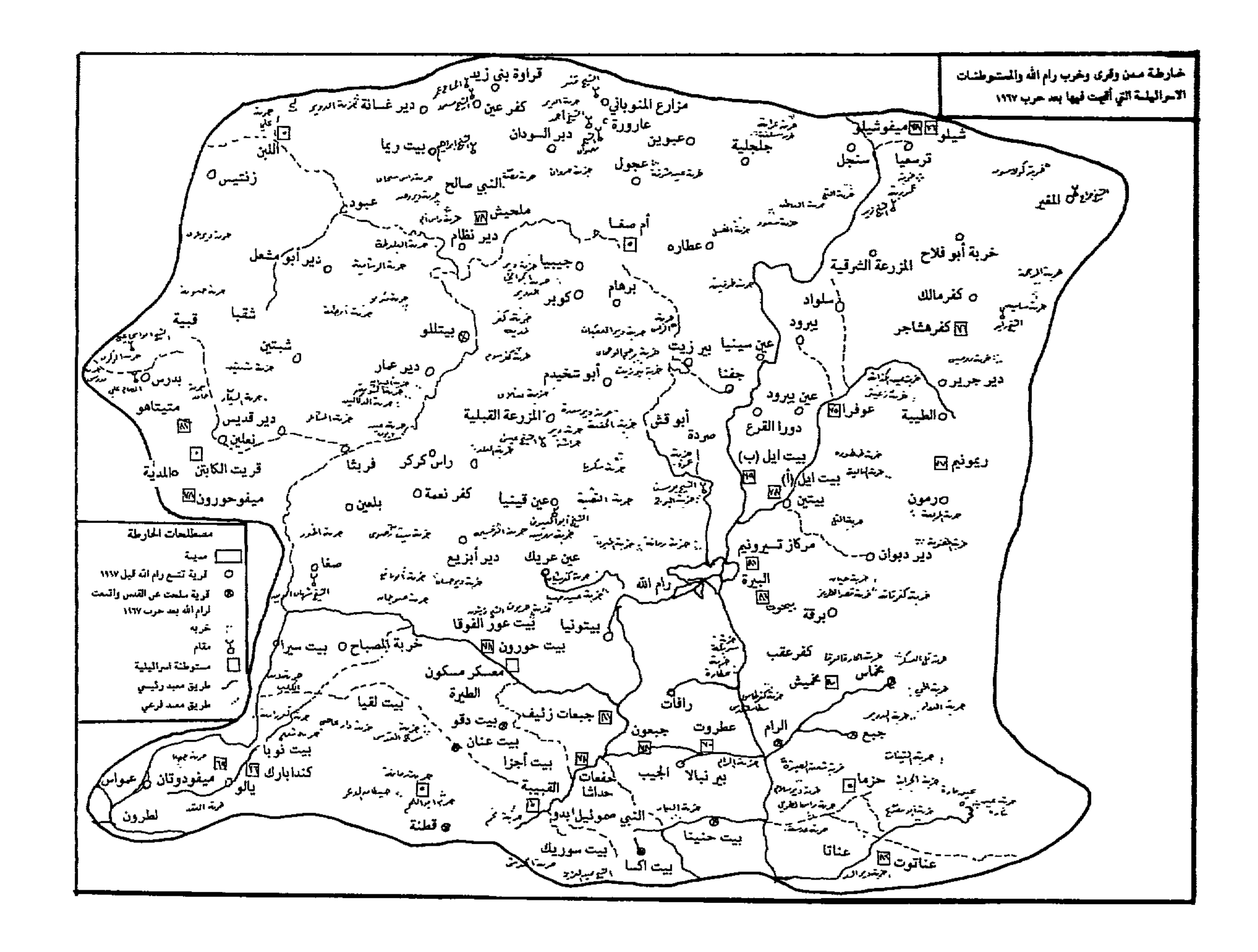
وأما من **الناحية الاقتصادية** : فتلعب رام الله دوراً بارزاً في التعامل والتبادل مع قراها حيث تأخذ منها وتعطيها ، فكثير من أبناء القرى يؤمونها إما لمزاولة

أعمالهم الوظيفية الحكومية أو غير الحكومية ، أو للعمل في مصانعها ومنشآتها المختلفة ، أو لأنهم أصحاب مصالح تجارية فيها ، أو لعرض منتجاتهم الزراعية من خضار وفواكه وما إلى ذلك ، بهدف تسويقها أو تصنيعها ، أو لمراجعة وقضاء مصالحهم في الدوائر الحكومية في المدينة كالمحكمة ومركز الشرطة والبريد ، أو غير الحكومية كمكاتب السياحة ومدارس السياقة ، والعيادات والصيدليات ومكاتب المحامين والمهندسين أو من أجل التسوق مما في المدينة ، من سلع ومنتجات مصنعة ، باعتبارها مركزاً لهذه الصناعات أو مكاناً لعرضها ، وفيها تتم عمليات البيع بالجملة والمفرق ، وتجدر الإشارة إلى أنه لم يقتصر نشاطها التجاري على التبادل بينها وبين القرى التابعة لها ، بل أصبحت مكاناً لتسوق المدن المجاورة كمدينة القدس وخاصة فيما يتعلق بالمنتجات الزراعية الوفيرة والرخيصة فيها ، وقد أدى ذلك في وقت من الأوقات إلى رفع أسعار الحاجيات بشكل فاقت أسعار مثيلاتها في القدس .

أثر الاحتلال على المدينة :

بعد احتلال إسرائيل للضفة الغربية سنة ١٩٦٧ ، أول مافعلته إجراء تغيير شامل على بنية النظام الإداري الذي كان سائداً آنذاك ، بشكل يتفق وأهدافها ومصالحها ومخططاتها . فمن المعلوم أن الضفة الغربية ، كانت تشكل ثلاث محافظات تابعة إدارياً للمملكة الأردنية الهاشمية هي : محافظة القدس ، ونابلس ، والخليل . ولكن سلطات الاحتلال ضمت مدينة القدس في حين ألحقت بعضاً من القرى التابعة لها إما للواء بيت لحم أو للواء رام الله والخارطة (٤) توضح القسم الذي ضم لرام الله ، وقسّمت الضفة الغربية إدارياً لستة ألوية هي : جنين ، طولكرم ، نابلس ، رام الله ، بيت لحم وأريحا ، والخليل . وجعلت مقر قيادتها في لواء رام الله وبالتحديد في شمال شرق المدينة التوأم (رام الله والبيرة) في المكان الذي أطلقوا عليه بيت إيل الواقع على الطريق المؤدي إلى نابلس .

ولا يخفى على أحد ما لهذا الموقع المتوسط الذي تمتاز به هذه المدينة التوأم من أهمية فائقة ، فهو للضفة الغربية بأهمية القلب للإنسان ، حيث يقع إلى شمالها ألوية نابلس وجنين وطولكرم وإلى جنوبها القدس وألوية بيت لحم وأريحا والخليل . وكان



خارطة مدن وقرى وخرب رام الله والمستوطنات
الاسرائيلية التي أقيمت فيها بعد حرب ١٩٦٧
مصطلحات الخارطة
مدينة
قرية تتبع رام الله قبل ١٩٦٧
قرية ملحقة عن القدس والحقت لرام الله بعد حرب ١٩٦٧
خربة
مقام
مستوطنة اسرائيلية
طريق معبد رئيسي
طريق معبد فرعي
قراوة بني زيد
مزارع النوباني
كفر عين
دير غسانة
عارورة
دير السودان
عبوين
جلجلية
سنجل
ترمسعيا
شيلو
ميغوشيلو
اللبن
بيت ريما
عجول
النبي صالح
زنتيس
عبود
ملحيش
أم صفا
عطاره
دير نظام
دير أبو مشعل
جيبيا
كوبر
برهام
المزرعة الشرقية
خربة أبو فلاح
سلواد
يبرود
كفرمالك
كفرهشاجر
المغير
شقبا
قبية
بيتللو
شبتين
عين سينيا
بير زيت
جفنا
أبو شخيدم
دير عمار
بدرس
متيتاهو
دير قديس
نعلين
المزرعة القبلية
عين يبرود
دورا القرع
عوفرا
الطيبة
دير جرير
أبو قش
صودا
قريت الكابتن
المدية
راس كركر
فريثا
بيت ايل (ب)
بيت ايل (أ)
ريمونيم
رمون
ميفوحورون
كفر نعمة
بلعين
عين قينيا
بيتين
مركاز تسرونيم
دير دبوان
صفا
دير أبزيع
عين عريك
رام الله
البيرة
برقة
بيت عور الفوقا
بيتونيا
بيت حورون
خربة المصباح
بيت سيرا
معسكر مسكون
الطيرة
كفرعقب
مخماس
مخيش
جبعات زئيف
راقات
بيت لقيا
بيت دقو
بيت عنان
جبعون
عطروت
الرام
جبع
بيت نوبا
كندابارك
ميفودوتان
عمواس
يالو
بيت أجزا
القبيبة
جفعات
حداشا
الجيب
بير نبالا
حزما
لطرون
قطنة
النبي صموئيل
بدو
بيت حنينا
عناتا
عناتوت
بيت سوريك
بيت اكسا

المفروض أن تستفيد المدينة التوأم من موقعها الهام وخاصة بعد أن اختيرت لتكون مقراً للقيادة الإسرائيلية ، ولاشك أن ذلك لو كان في ظروف حكم وطني لكان لهذه المدينة من الشأن ما يكون للمكان المركزي في أية بنية حضرية . صحيح أنه قد أصابها تطور في بعض المجالات ولكنه تطور بطيء ولا يتناسب مع ذلك النمو الأسرع الذي كانت تمر به المدينة قبل الاحتلال ، وقبل أن تصبح مقراً للقيادة الإسرائيلية . بل عندما كانت فقط تستفيد من توسط موقعها وجودة مناخه حيث كانت أولى المصايف الأردنية ، والتي جذبت إليها أبناءها المغتربين والمستثمرين الآخرين ، من الأردن وخارجه ، لاستثمار أموالهم في بناء المصانع وفتح المحال التجارية ، وبناء الفنادق والمطاعم وفتح المتنزهات .

هذا بالإضافة لما شهدته المدينة من ارتفاع في قيم أراضيها ، وذلك لكثرة الطلب على شرائها لبناء بيوت سكنية تصلح لفصل الصيف والتمتع بجو لطيف وهادئ وتستخدم قوات الاحتلال الإسرائيلي حالياً البيوت التي يملكها العرب من غير سكان المدينة في عين مصباح ، مقاراً لعدد من الدوائر الحكومية لذا يمكن القول وبلا مغالاة أن الاحتلال واتخاذ رام الله مركزاً لقيادته ، قد لعب دوراً فعالاً في عدم تحقيق ما كانت المدينة قد بدأت تمر به من نهضة وتطوير قبل الاحتلال ، ويعود سبب ذلك للاحتكاك المباشر الذي بات قائماً بين السكان العرب من جهة ، وقوات الاحتلال الإسرائيلي والمتمثل بالحكام والأفراد العسكريين والإداريين من جهة ثانية .

وترتب على هذا أن أصبحت المدينة ولواؤها ، وبحكم أنها الأكثر إحساساً واكتواء بلهيب الاحتلال ، أولى مناطق الضفة والقطاع تصدياً للكثير من السياسات والممارسات الإسرائيلية الظالمة ، سواء في أرض الاحتلال أو خارجها . فمن استيطان إلى مصادرة أراضي أو فرض قيود وضرائب أو قتل للنزعات الوطنية عند الناس وذلك بالقتل والتنكيل والهدم والسجن والتغريم والطرد .... ضد من يسير في ضرب مقاومة الاحتلال أو حتى التفكير بذلك ، ولم تكتف بفرض سياساتها وممارساتها ، بل حاولت ونجحت لحد ما ، في استمالة بعض العملاء والمأجورين إليها مقابل شيء من النقود أو النفوذ أو المصالح ـ أشبه ما يكون بنظام الساندمان الذي طبقته إنجلترا في الهند ـ لكي

يكونوا لها عيوناً على أهلهم وذويهم وضد شعبهم ووطنهم بشكل أو بآخر ، وما إنشاء روابط القرى التي أصبح مركزها رام الله أيضاً ، إلا حلقة في تنفيذ هذه السياسة وإيجاد كيان هزيل له هويته السياسية الموالية لإسرائيل وعملائها ، وليكون بديلاً عن منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد لحقوق الشعب الفلسطيني ، في أي حل مستقبلي للقضية الفلسطينية . إلا أن وعي ووطنية سكان المدينة وقراها ، حتم عليهم التصدي لتلك المخططات بل ومقاومة الاحتلال وأعوانه ، وحيث تلوح لهم الفرص سيا وأن الكثيرين من سكان المدينة وبحكم أنهم أمضوا سنوات طويلة في المهجر ، عانوا خلالها من مرارة الغربة وعز عليهم أن يكونوا في وطنهم مسلوبي الحرية ، كما أن وجود العديد من المدارس أملى عليها جميعاً حمل مسؤولية قيادة المواجهة للاحتلال وممارساته التعسفية .

ومن منا لا يذكر ما تعرضت وتتعرض له جامعة بير زيت ، ومعهد معلمي رام الله التابع للوكالة ومعهد معلمات رام الله الحكومي ، ومعهد معلمات رام الله التابع للوكالة وكلية التمريض ، ومدارس رام الله والبيرة واللواء ذكوراً وإناثاً وفي مختلف المراحل التعليمية من إغلاق ، واقتحام ، وتكسير محتويات ، وضرب طلاب ومعلمين وموظفين وتغريم واعتقال وسجن وطرد . كما لم تقتصر العقوبات على مستوى المؤسسات المختلفة بل طبقتها على الأفراد ذكوراً وإناثاً ، وفي مختلف الأعمار والمراتب . ونذكر على سبيل المثال لا الحصر محاولة اغتيال رئيس بلدية رام الله (المرحوم كريم خلف) ، ورئيس بلدية البيرة (الصيدلي إبراهيم الطويل) وإيقاع الضرر بهما فعلاً ، كما مارست سياسة الطرد فطردت الدكتور عبد العزيز أحمد ونديم الزرو ، وكمال الدجاني وعبد الجواد صالح لخارج الضفة ، والحكم بالسجن أو فرض الإقامة الجبرية أو إقصاء البعض عن وظائفهم أو حرمانهم أصلاً من الحصول على وظيفة ، والأمثلة على ذلك كثيرة كما حرمت سكان المدينة أو قراها أو مجالسها القروية ، من السفر لخارج الضفة بهدف إحضار مخصصاتها المالية التي تمكنها من القيام ببعض المشاريع التطويرية . كما حددت إعطاء رخص البناء للسكان وفرضت شروطاً صعبة للحصول عليها » .

الاستيطان في المدينة ولوائها :

من السياسة التي اتبعتها السلطات الإسرائيلية في تغيير معالم الأرض الفلسطينية وطمس هويتها العربية سياسة الاستيطان ، وقد نالت منطقة رام الله شأنها شأن بقية المناطق العربية المحتلة ، نصيبها منه والذي جرى ويجري تنفيذه بغرض أو بآخر وحسب برنامج زمني مدروس بعناية .

ومما يلاحظ على التوزيع الجغرافي لهذه المستوطنات ، أنه شمل مختلف مناطق رام الله ولاسيا حيث تكثر التجمعات السكانية العربية ، فالجدول (٧) والخارطة (السابقة) يوضحان ذلك . وقصد من هذا التوزيع عدة أمور منها :

١ ـ ضمان الناحية الأمنية بالنسبة للكيان الإسرائيلي وذلك بتكليف سكان المستوطنات بحسم وإجهاض ماقد يقوم به السكان العرب ومنذ بدايته ، سيا وأن هذه المستوطنات مهما كان غرض إنشائها ، فإنها تلتقي جميعاً في صفة واحدة هي الصبغة العسكرية ، وهنالك العديد من الأمثلة التي تم فيها إشراك المستوطنين بالقيام بمهات متعددة ، فمن حراسة مستوطناتهم إلى تصديهم للحركات الجماهيرية والطلابية خاصة ، والانتقام منهم بالاعتداء على ممتلكاتهم كتكسير زجاج البيوت وتحطيم السيارات أو حرقها أو قطع الأشجار وتفتيش البيوت والناس على الطرقات العامة ، بهدف نشر الذعر بين الناس أو تعطيلهم عن أعمالهم ، وما هذه الأمور إلا أمثلة على أهمية وجود المستوطنات حيث التجمعات السكانية العربية .

٢ ـ استفادتهم مما يتميز به كل موضع استيطاني ، سيا وأن بعضها سكنياً أو صناعياً أو سياحياً أو تاريخياً أو زراعياً (فكندا بارك) أقيم لغرض سياحي في حين أقيم موضع (عطروت) كمجمع صناعي تجاري حيث لا يجوز لأي دائرة حكومية عربية أن تشتري احتياجاتها من غيره .

٣ ـ اعتبار التجمعات السكانية العربية كأسواق ملائمة لهم يأخذون منها المواد الخام والأيدي العاملة بأسعار وأجور رخيصة ، ثم يسّوقون إليها ناتج مستوطناتهم .

جدول - ٧ - أهم المستوطنات الإسرائيلية التي أقيمت على أراضي منطقة رام الله

الاسم بالعبرية	البلدة العربية التي أقيمت عليها	الصفة	المنطقة	ملاحظات
بيت ايل	بيتين ودورة القرع	قرية تعاونية	القدس	١٩٧٨م ، مدينة كنعانية قديمة شرق رام الله
بيت ايل ب	أراضي بيتين	مستوطنة صناعية	القدس	١٩٧٩م ، مشرفة على مخيم الجلزون
بيت حورون	بيت عور وبيتونيا	قرية تعاونية	القدس	١٩٧٨م ، قرب بيت عور الفوقا
بيسجوت	جبل الطويل والبيرة	مستوطنة صناعية	القدس	١٩٨١م
جبعون	أراضي الجيب	قرية	القدس	١٩٧٨م ، أصلها كنعانية ١٥ كم شمال غرب القدس
جبعات زئيف	أراضي الجيب	مستوطنة سكنية	القدس	١٩٨١م
جفعات حداشا	أراضي بدو وبيت اجزا	قرية تعاونية	القدس	١٩٧٨م ، ١٥ كم شمال غرب القدس
جفعوت		مستوطنة	القدس	١٩٧٧م ، غرب مدينة رام الله
ريمونيم (رمون)	أراضي الطيبة ورمون	قرية تعاونية	القدس	١٩٧٧م ، ١٨ كم شرق رام الله
شيلو	أراضي ترمسعيا وقريوت	قرية تعاونية	رام الله	١٩٧٨م ، شمال شرق رام الله
عطروت (حمرا)	أراضي قلنديا وبيت حنينا	كيبوتس	القدس	١٩٧٠م ، قرب مطار القدس
عناتوت	شعفاط وعناتا	قرية تعاونية	القدس	تحت الإنشاء
عوفراب (باعل حتسور)	أراضي سلواد وعين يبرود	قرية تعاونية	القدس	١٩٧٥م ، ١٠ كم عن رام الله
قريت الكابت	قرية المدية	مستوطنة	القدس	٣٠ كم غرب رام الله
كفاروت	أراضي مدية	موشاف	القدس	١٩٧٧م ، منطقة اللطرون غرب رام الله
كفر هشاجر	كفر مالك ودير جرير	قرية تعاونية	القدس	١٩٧٦م ، ١٨ كم شرق رام الله
كندا بارك	أراضي يالو وبيت نوبا	متنزه	القدس	١٩٧٦م ، منطقة اللطرون
متتياهو	أراضي نعلين والمدية	موشاف شتوفي	القدس	١٩٨١م ، منطقة اللطرون
مخميش (مخماش)	أراضي مخماس	مستوطنة	القدس	١٩٨٠م ، شمال شرق القدس
مركاز تسيرونيم	جبل الطويل	مستوطنة	القدس	١٩٨١م ، في مدينة البيرة
ميفوحورن	يالو وبيت نوبا وعمواس	موشاف شتوفي	١٩٦٩م ، قرب قرية بيت نوبا	
ميفوشيلو	أراضي ترمسعيا	مستوطنة	القدس	١٩٧٦م ، قرب قرية دوما العربية
ميفوموديعم	المدية	موشاف شتوفي	القدس	١٩٦٤م ، منطقة اللطرون
ميفودوتان		قرية تعاونية	القدس	١٩٧٨م
نفي تسوق (ملحيش)	النبي صالح ودير نظام	مستوطنة	القدس	١٩٧٨م ، شمال لغرب رام الله

المصدر : فهرس المستوطنات الإسرائيلية في فلسطين ، المركز الجغرافي الأردني ، تشرين ثاني عام ١٩٨٣ م .

والجدول (٧) يوضح أهم المستوطنات الإسرائيلية التي أقيمة على أراضي قرى منطقة رام الله وطبيعة تلك المستوطنات وسنوات إنشائها ، وقد تم توضيح محتوياته على الخارطة (السابقة) ، هذا بالإضافة إلى أن هنالك مستوطنات أخرى أنشئت بعد عام ١٩٨٣ م ومنها مستوطنة أقيمت على أراضي قرية اللبن الغربي وأخرى على أراضي قرية حزماً وثالثة على أراضي أم صفا ورابعة على منطقة الرادار بأراضي قرية بدو وما ينشأ حالياً على أراضي قرية خراب اللحم قرب قرية قطنة وغيرها .



من خلال استعراضنا للفصول السابقة عن المدينتين التوأم رام الله والبيرة ، يتضح لنا أن نشأة وتطور المدينتين قد مرت بظروف مختلفة خلال القرون الماضية . إلاّ أن أبرز هذه الظروف هو التطور الذي طرأ عليهما بعد الهجرة التي وفدت إلى المنطقة في نهاية القرن السادس عشر والتي على إثرها نمت وتطورت المدينتان .

إن نمو وتطور رام الله والبيرة يعزى بشكل أساسي إلى عوامل طبيعية وأخرى بشرية ، فمن حيث العوامل الطبيعية نجد أن الموقع والموضع الذي تتمتع به المدينتان أدى إلى تطور الوظيفة السياحية لهما كأفضل مصيف في البلاد ، حيث تتوفر ظروف البيئة الطبيعية الملائمة مما جذب العديد من المصطافين من داخل البلاد وخارجها (حتى عام ١٩٦٧ م) إلى المدينتين وساعد على فتح باب الاستثمارات العمرانية والسياحية المختلفة بشكل أدى إلى نماء المدينتين ورفع مستوى معيشة السكان فيهما . أما من حيث العوامل البشرية فقد شهدت المدينتان حركة هجرة خارجة منهما إلى دول العالم المختلفة ، وبشكل خاص إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان للعوائد المادية لهذه الهجرة (تحويلات واستثمارات) أثر كبير في ازدهار وتطور المدينتين . وكان لهذا الوضع الفريد أن زاد من شدة التنافس بين المدينتين لتحقيق مستويات أفضل من الارتقاء والتقدم .

وأثناء هذه المرحلة من التطور السريع للمدينتين ، حدث الاحتلال الإسرائيلي عام (١٩٦٧ م) والذي قلب الأمور رأساً على عقب فدخلت المدينتان في مرحلة تطور مختلفة عن سابقتها من حيث التغير في وظيفة المدينتين ، فبعد أن كانت الوظيفة السياحية هي أهم الوظائف لرام الله والبيرة ، حلت محلها الوظيفة الإدارية بسبب اتخاذها مقراً لقيادة الاحتلال العسكرية للضفة الغربية ، مما أوجد نوعاً من الاحتكاك المباشر والمستمر بين المواطنين من جهة وسلطات الاحتلال من جهة أخرى مما أثر سلبياً على تطور ونماء المدينتين . ويضاف إلى ذلك سياسة سلطات الاحتلال في إقامة حلقات المستوطنات حول مدن الضفة الغربية بهدف عزلها ديموغرافيا .

إن التنسيق بين مجلسي البلديتين ضرورة ملحة تفرضها طبيعة الامتداد العمراني المتداخل ، والحياة اليومية المشتركة بين السكان ، إلا أن تدخل سلطـات الاحتلال في مجالس إدارة المـدينتين ، حـال دون إجراء مثل هـذا التنسيق وعرقل تنفيـذ كثير من المشروعات الطموحة التي من شأنها رفع شأن المدينتين .

المراجع العربية :

١ ـ أبو ريّا ، خليل أيوب ، رام الله قديماً وحديثاً ، مطبوعات الاتحاد الأمريكي لرام الله / فلسطين . بدون تاريخ نشر ، وبالتأكيد بعد ١٩٨٠ م .

٢ ـ الأردن ، دائرة الاحصاءات العامة ، التعداد العام للمساكن ١٩٥٢ م . عمان ، ١٩٥٣ م .

٣ ـ الأردن ، دائرة الآثار العامة ، حولية دائرة الآثار ، المجلد (٦ و ٧) ، عمان ، ١٩٦٢ م ، ص ١٠ .

٤ ـ الأردن ، دائرة الإحصاءات العامة ، التعداد العام للسكان والمساكن ١٩٦١ م ، المجلد رقم (١) ورقم (٢) ، عمان ، ١٩٦٤ م .

٥ ـ وزارة الأرض المحتلة ، لوحات احصائية لعدد السكان في مدن وقرى الضفة الغربية المحتلة قبل عام ١٩٦٧ م وفي عام ١٩٨٢ م .

٦ ـ أمين حافظ الدجاني ، المدينتان التوأمان رام الله ـ البيرة ـ وقضاؤهما ، في سبيل موسوعة عربية فلسطينية .

٧ ـ جمعية انعاش الأسرة (البيرة) ، بينان ١٩٨٣ م/١٩٨٤ م للجمعية ، ١٩٨٤ م .

٨ ـ حماد ، محمد أحمد ، مدينة البيرة : مصيف الأردن الجميل ، مطبعة الشرق ، البيرة ، ١٩٦٦ م .

٩ ـ الخرائط : ١ : ١٠٠,٠٠٠
١ : ٥٠,٠٠٠

١٠ ـ خوري وآخرون ، جغرافية فلسطين ، القدس ، ١٩٢٣ م .

١١ ـ خوري ، شحادة ، تاريخ كنيسة أورشليم الأثوذكسية ، ١٩٢٥ م ، القدس .

١٢ ـ دائرة الصحة في رام الله ، سجلات دائرت الصحة (بيانات غير منشورة) .

١٣ ـ الدباغ ، مصطفى ، بلادنا فلسطين ، الجزء الثامن ـ القسم الثاني ، في ديار بيت المقدس ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ م ، مطبوعات رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل .
١٤ ـ دليل التليفون الجديد لرام الله والبيرة واللواء لعام ١٩٦٧ م ، إعداد وتنظيم إعلانات يافا ، جورج شامات ، رام الله ، ١٩٦٧ م (قبل حزيران) .
١٥ ـ سجلات دائرة المالية ، رام الله .
١٦ ـ طوطح وآخرون ، تاريخ القدس ودليلها ، القدس ، ١٩٢٠ م .
١٧ ـ العارف ، عارف ، النكبة ١ ، ٢ ، صيدا ، ١٩٥٤ م .
١٨ ـ غرفة تجارة رام الله واللواء ، نبذة عن الغرفة التجارية برام الله واللواء ، ١٩٨٥ م .
١٩ ـ قدورة ، يوسف جرجس ، تاريخ مدينة رام الله ، مطبعة الهدى ، نيويورك ، ١٩٥٤ م .
٢٠ ـ مجلة العربي ، العدد ٣٢ ، ١٩٦٣ م ، تحقيق صحفي مصور عن رام الله والبيرة .
٢١ ـ مكتب مديرية التربية والتعليم في لواء رام الله ، سجلات التعليم ، بيانات غير منشورة .
٢٢ ـ مذكرات بابا دوبلس كيرمانوس ، مطبوعة باليونانية عام ١٨٩٨ .
٢٣ ـ المركز الجغرافي الأردني ، فهرس المستوطنات الإسرائيلية في فلسطين ، ١٩٨٣ م .
٢٤ ـ معلوف ، آنيسة ، جمعية الأصدقاء الأمريكية في فلسطين ، في هذا الكتاب وصف دقيق لقرية رام الله خاصة الحياة الاجتماعية ، مطبوع عام ١٩٣٩ م .
٢٥ ـ نعمة الخواجا ، المدينتان التوأمان رام الله والبيرة ، مقال منشور في جريدة القدس ، أكتوبر عام ١٩٨٥ م .
٢٦ ـ مقالة للأب دون ديسار عن هجرة راشد الحدادين إلى رام الله . في ١٩٠٥ م Revue Biblique .

المراجع الأجنبية :

1 - Abdul Fatah, Historical Geography of Palestine, Trans Jordan and southern Syria in the late 16th Century, Erlangen, 1977.
2 - Baedeker, K. Palestine and Syria. leipzig. 1912.
3 - The Journal of Hellenic Studies, 1930.
4 - Government of Palestine. Census of Palestine 1922, Jerusalem, 1923.
5 - ———. Census of Palestine, 1931, Jerusalem, 1932.
6 - Robinson, E. Smith E., Biblical Researches in Palestine and in the Adjacent Regions: A Journal of Travels in the year 1938. VI.
7 - Rey, E. Les Colonies Franque de Syrie Aux XII me et XIII siecles. Paris, 1883.
8 - The Journal of Hellenic Studies, 1930.
9 - Elihu Grant, The Peasantry of Palestine, 1907.
10 - Freer. G. In a Syrian Saddle, 1905.

يصدر عن سلسلة المدن الفلسطينية :

- القدس
- الخليل
- نابلس
- غزة
- يافا
- حيفا
- عكا
- الناصرة
- رام الله والبيرة
- طولكرم
- جنين
- خان يونس
- أريحا
- بئر السبع
- اللد
- صفد
- الرملة
- المجدل وعسقلان
- بيسان
- طبريا
- بيت لحم

حين يكون الوطن بعيداً أو أنت مبعد عنه ...

وحين تستمر أجيال الوطن في التوالد بعيداً عن أرضه دون أن تلمس ترابه أو تشم ثراه المجبول بالدم والمعطر برائحة البرتقال والزيتون ...

وحين يكون الحنين لفلسطين مدناً وقرىً وبحراً وسهلاً وجبلاً يتردد صداه غناء وبكاء في كل بيت وصدر فلسطيني ...

وحين يعمد العدو الغاصب ـ وبعد أن اقتلع الشعب من وطنه ـ إلى اقتلاع حجارة الوطن وأشجاره ليمحو مدنه وقراه وآثاره بهدف تغيير معالم الوطن ورسم صورته على هواه ...

وحتى تظل فلسطين ، تاريخاً وتراثاً وحضارةً ونضالاً ، حية في عقل كل فلسطيني وعربي ...

وحتى تظل فلسطين مجسّدة بجبالها وسهولها ومعالمها في عيون كل الأجيال الفلسطينية والعربية وهي تناضل من أجل تحريرها واستعادتها ... كان علينا أن نقرّبها ، أن نقرّب الوطن البعيد من الأجيال التي لم يكتب لها أن تراه حتى الآن ، فكانت هذه السلسلة من الكتب التي جاءت ثمرة تعاون بنّاء بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ودائرة الإعلام والثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية .

عبد الله الحوراني

الثمن : الأردن ١ دينار ، **الإمارات العربية المتحدة** ١٠ دراهم ، **المملكة العربية السعودية** ١٠ ريال **قطر** ١٠ ريال ، **الكويت** ١ دينار ، **سورية ولبنان** ٢٥ ل.س ، **والبلدان الأخرى** ٢ دولار .